

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية
(باغة - قبرة - قيجاطة - قلهرة)

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(باغة - قبرة - قيجاطة - قلهرة)

المؤلف: أ.د. حسين جبار العليايوي

أ.د. جاسم ياسين الدرويش

الطبعة الأولى: ٢٠٢٢

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة - نشر - توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ - ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

سلسلة رقم (٩)

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية (باغة - قبرة - قيجاطة - قلهرة)

أ.د. حسين جبار العليايوي أ.د. جاسم ياسين الدرويش

كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة البصرة - قسم التاريخ

المقدمة

عندما دخل الفاتحون المسلمون إلى شبه الجزيرة الأيبيرية انساحوا في أرجائها، وحيث وطأت أقدامهم استقر بعضهم واختلطوا بسكان البلاد الأصليين وأسهموا في بناء تاريخ جديد للبلاد عرف بحقبة التاريخ الإسلامي في الأندلس.

والظاهرة الفريدة هناك هو أن المستوطنين الجدد عملوا على إحياء وتجديد الكثير من المراكز الحضرية القديمة وأقاموا عليها مدن جديدة بطابع إسلامي بقيت معالمها شاخصة إلى اليوم، ومن هنا جاءت فكرة الكتاب الذي يقع ضمن سلسلة من الدراسات للمدن الأندلسية فكانت هذه السلسلة التاسعة والتي تناولنا فيها مدينة باغة وكورة قبرة ومدينة قيجاطة ومدينة قلهرة. وتعد هذه من بين العشرات اللاتي أسهم المسلمون في بث الحياة فيها وأقاموا فيها حضارة امتدت لقرون عدة.

وقد عملنا عند تناول كل مدينة على تقسيم مادة بحثها إلى ثلاثة محاور، ركز المحور الأول على الجغرافية التاريخية لكل منها، فيما تناول المحور الثاني التاريخ الإداري والسياسي لكل مدينة وما شهدتها من أحداث، وركز المحور الثالث على الحركة الفكرية فيها وإسهامات بعض أهل تلك المدن في العلوم المختلفة.

مدینة باغتة Priego الأندلسیة

٩٢-٨٠٩هـ / ٧١٠-١٤٠٦م

الجغرافية التاريخية لمدينة باغتا Priego

ورد لفظها ببعض الاختلاف، ففي أغلب المصادر جاءت بلفظ باغة^(١)، وجاءت عند المقدسي ببيغوا^(٢)، وذكرها الحميري مرتين الأولى بلفظ بيغو^(٣) والأخرى بلفظ باغو^(٤)، وعند ابن الخطيب جاءت مرة بلفظ باغة^(٥) وأخرى بلفظ باغو^(٦)، أما اسمها اللاتيني القديم فهو ايباغنوم Epagnum^(٧)، ولفظها عند الأسبان Priego، وعندما دخل العرب المسلمون سموها باغة^(٨) وبيغو وباغو^(٩)، وهي عند العامة من

(١) ينظر على سبيل المثال: ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠-٢٧٥ هـ / ٩١٢٨٨ م)، ص ١٢٨؛ العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٨٩؛ ابن بسام، الذخيرة، ١/١٢٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٧١؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٤؛ ابن بشكوال، الصلة، ص ١٣٤؛ ابن الأبار، التكملة، ١/١١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢/١٥٤.

(٢) أحسن التقاسيم، ١٨٦، ١٩٣.

(٣) الروض المعطار، ص ١٢٢.

(٤) الروض المعطار، ص ٤١٦.

(٥) أعمال الأعلام، ٢/٢٢٨، اللمحة البدرية، ص ١٨.

(٦) أعمال الأعلام ٢/٢٨؛ ينظر أيضاً: ابن عسكروا بن خميس، مطلع الأنوار، ص ٣١٤.

(٧) أرسلان، التحلل السندسية، ١/١٣٠.

(٨) أرسلان، التحلل السندسية، ١/١٨٩.

(٩) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢-٢٦٧ هـ / ٨٤٦-٨٨٠ م)، ص ٥٢٩ تعليقات

المحقق محمود علي مكي.

الناس بيغة^(١)، والنسبة إليها بيغي^(٢) أو باغي^(٣)، وهذا الاختلاف لم يخرج عن الشكل العام للكلمة، ويبدو أنه راجع إلى اختلاف اللهجات أو النقل وربما التصحيف.

أما موقع مدينة باغة، فذكرت بعض المصادر أنها ضمن كورة البيرة Elvira، منهم: ابن حيان عند حديثه عن الوفود التي جاءت إلى بلاط الخليفة المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ / ٩٦١-٩٧٦ م) للتهنئة بانتصارات المغرب^(٤)، وعدّها العذري بأنها أحد أجزاء كورة البيرة^(٥)، وقال ابن غالب عند حديثه عن كورة البيرة: (ولها مدينة باغة)^(٦)، وقال ياقوت: إنها (مدينة بالأندلس من كورة البيرة)^(٧)، وذكرها ابن سعيد من مدن متوسطة الأندلس ضمن كورة البيرة وطرزها بقوله: (كتاب حلي الصباغة في حلي مَدِينَة باغة)^(٨)، فيما ذهبت مصادر أخرى إلى أنها من كورة غرناطة Granada، منهم: ابن الأبار الذي قال عند حديثه عن الأديب أحمد بن يوسف الجذامي^(٩) إنه من أهل باغة عمل

(١) المقري، نفع الطيب، ١/١٤٩؛ أرسلان، الحلل السندسية، ١/١٩٨؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ٥٦.

(٢) المقري، نفع الطيب، ١/١٤٩؛ أرسلان، الحلل السندسية، ١/١٨٩.

(٣) السيوطي، لب اللباب، ص ٢٧.

(٤) المقتبس (للحقب ٣٦٠-٣٦٤ هـ / ٩٧٠-٩٧٤ م) ص ٢٠١.

(٥) ترصيع الأخبار، ص ٩٣.

(٦) فرحة الأنفس، ص ١٤.

(٧) الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٢.

(٨) المغرب في حلي المغرب، ٢/٩٢.

(٩) سيأتي الحديث عنه في الحركة الفكرية.

غرناطة^(١)، وذكرها الحميري بقوله: (مدينة بالأندلس من عمل
غرناطة)^(٢)، وإلى الشيء نفسه ذهب ابن الخطيب عندما عدد الأقاليم
التابعة إلى غرناطة بقوله: (يرجع إلى هذا الوطن الشريف من الأقاليم
ثلاثة وثلاثون إقليماً، منها: ... وإقليم باغة)^(٣) وقال المقري عنها: (ومن
أعمال غرناطة الكبار عمل باغة)^(٤).

ويبدو أن الخلاف حول أن باغة ضمن البيرة أم غرناطة هو خلاف
ترتيب زمني لا خلاف مكاني، إذ كانت غرناطة مدينة صغيرة تابعة إلى
كورة البيرة فلما حُرِبَت البيرة في أحداث الفتنة التي أعقبت سقوط
الخلافة الأموية في الأندلس عُمرت غرناطة وضمت جميع مناطق البيرة
وغلب اسمها عليها، فذكر الإدريسي (ومدينة اغرناطة محدثة من أيام
الشوار بالأندلس، وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة فخلت وانتقل أهلها
منها إلى اغرناطة)^(٥)، وإلى ذلك أيضاً أشار الحميري بقوله: (وكانت
حاضرة البيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة فحُرِبَت في
الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة فهي اليوم قاعدة كورها)^(٦)، فيما
أشار ابن الخطيب إلى أن الانتقال من البيرة إلى غرناطة كان بعد سنة
٤٠٠هـ / ١٠٠٩م بقوله: (ولم تزل الأيام تخيف ساكنها، والعفاء يتبوء
مساكنها، والفتن الإسلامية تجوس أماكنها، حتى شملها الخراب،

(١) التكملة، ١/٨٣.

(٢) الروض المعطار، ص ١٢٢.

(٣) اللمحة البدرية، ص ١٨.

(٤) نضح الطيب، ١/١٤٩.

(٥) نزهة المشتاق، ٢/٥٦٩.

(٦) الروض المعطار، ص ٢٨.

وتقسّم قاطنوها الاغتراب، وكلّ الذي فوق التراب تراب، وانتقل أهلها مدة أيام الفتنة البربرية سنة أربعمائة من الهجرة، فما بعدها، ولجأوا إلى مدينة غرناطة، فصارت حاضرة الصّقع، وأمّ المصر،...^(١)، ويُرجح أن تكون البيرة هي المكان نفسه الذي تقوم عليه غرناطة الحديثة^(٢).

وتحدثت المصادر إلى مكانها بالنسبة إلى من يجاورها من المدن، فقال ابن غالب إنها بين الغرب والقبلة من البيرة^(٣)، وذكر ياقوت أن باغة (مدينة بالأندلس من كورة البيرة بين المغرب والقبلة منها، وفي قبلي قرطبة Cordoba منحرفة عنها يسيراً)^(٤)، أما المسافات، فإن بينها وبين البيرة أربعون ميلاً^(٥)، وبينها وبين قرطبة خمسون ميلاً^(٦) أي حوالي ١١٠ كم إلى الجنوب الشرقي منها^(٧)، وذكر الإدريسي أن مدينة باغة هي ضمن ضمن مجموعة من المدن الواقعة بين مالقة Malaga وقرطبة وقال أن بينها وبين حصن القبذاق^(٨) مرحلة^(٩) خفيفة ومن القبذاق إلى

(١) الإحاطة، ١/١٤.

(٢) الطويل، مملكة غرناطة، ص ٥٥.

(٣) فرحة الأنفس، ص ١٤.

(٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٢.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٩، والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكابيل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥.

(٦) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٢؛ الزبيدي، الأندلس من تاج العروس، ص ٢٨.

(٧) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠ م)، ص ٥٢٩ تعليقات تعليقات المحقق محمود علي مكي.

(٨) القبذاق قال عنها ياقوت مدينة من نواحي قرطبة، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١٢.

(٩) المرحلة تساوي أربعة وعشرون ميلاً أو ثمانية فراسخ، ينظر: الشرييني، مغني مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ١/٥٢١.

جيان Jaen^(١) مرحلة خفيفة^(٢).

أما أوصافها فقد سطر لنا بعض الجغرافيين المسلمين جانباً مما تميزت به هذه المدينة الأندلسية، فقد وصفها المقدسي بقوله: (وهي جبلية لها أودية تخر منها عيون تدير الأرحية، كثيرة التوت والزيتون والتين)^(٣)، وقال عنها الإدريسي: (وباغة مدينة صغيرة القدر لكنها في غاية الحسن لكثرة مياهها والماء يشق بلدها وعليه الأرحاء داخل المدينة ولها من الكروم والأشجار ما لا مزيد عليه وهي في نهاية الخصب والرخاء)^(٤)، وامتدح ابن غالب مياهها وشجرها بقوله: (وهي كثيرة الأشجار، ولماؤها خاصة دون المياه ينعقد حجراً في حافات جداول، ويجود فيها الزعفران)^(٥)، فيما وصف ياقوت مياهها وخيراتها بقوله: (ولماؤها خاصة خاصة عجيبة فإنه ينعقد حجراً في حافات جداوله التي يكثر فيها جريه، ويجود فيها الزعفران ويحمل منها إلى البلدان)^(٦)، ووصفها ابن سعيد بقوله إنها: (طيبة الزرع كثيرة التمار غزيرة المياه منبجسه بالعيون ولماؤها خاصة ينعقد حجراً في حافات جداوله التي يتدادى فيها جريه ويجود فيها الزعفران... كثيرة الأعناب وخرها مشهورة)^(٧)، وأشار أبو

(١) جيان كورة واسعة تتصل بكورة البيرة إلى ناحية الجوف شرقي قرطبة،

ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١١٥.

(٢) نزهة المشتاق، ٥٧١/٢.

(٣) أحسن التقاسيم، ص ١٩٣.

(٤) نزهة المشتاق، ٥٧١/٢.

(٥) فرحة الأنفس، ص ١٤.

(٦) الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٢.

(٧) المغرب في حلي المغرب، ١٥٤/٢.

الفدا إلى نفس تلك المزايا بقوله: (وهي غزيرة المياه، ولماؤها خاصة أنه
ينعقد حجراً، وبها الزعفران والعنب الكثير)^(١)، وقد وصف أحد شعراء
باغة المعروف بابن خروف^(٢) مياه باغة بقوله:

ولله باغوا الهيثميمة إثمها

عرينة ضرغام ومكنس شادن

مدينة ينساب بين مياهها

أريقم نهر ماؤه غير آسن

ري من كروم، والبطاح حدائق

فما شئت من حسن بها ومحاسن^(٣)

من الأوصاف أعلاه يمكن القول إن مدينة باغة تقع على أرض شبه
جبلية تتخللها الأودية التي تنحدر منها المياه بعضها على شكل عيون ربما
ذات طبيعة معدنية، ولهذا أشارت بعض المصادر أن فيها (عين ماء إذا
شرب منه من به الحصى فتت ذلك الحصى، معروف ذلك عندهم)^(٤)، وربما
ذلك من باب الدعاية من قبل سكانها لجذب السياح إليها والارتفاع من
ذلك، واستفاد سكان المدينة من انحدار المياه المتدفقة من السفوح على بناء
الأرحاء التي تدور بقوة المياه وتستخدم في طحن الحبوب.

(١) تقويم البلدان، ص ١٧٧.

(٢) هو الأديب علي بن محمد المعروف بابن خروف أصله من قرطبة وسكن
مالقة كان أديباً حافظاً للغات، ينظر: ابن عسكروابن خميس، مطلع
الأنوار، ص ٣١٣- ٣١٤.

(٣) ابن خميس وابن عسكروابن، أعلام مالقة، ص ٣١٤.

(٤) العدري، ترصيع الأخبار، ص ٩٣؛ ينظر أيضاً: مؤلف مجهول، تاريخ
الأندلس، ص ٦٩.

وأشارت النصوص أعلاه أيضاً إلى أن المنطقة تكسوها الأشجار المختلفة، وقد ساعد وفرة المياه وعذوبتها على ذلك، ولاسيما أشجار الفاكهة من العنب والتين والزيتون، كذلك أشجار الزعفران وهو نبات بصلي معمر له استخدامات متعددة تدر فوائد اقتصادية جمة حتى قرنوه بالذهب فقالوا: الأصفران هما الذهب والزعفران^(١)، فهو يدخل في صناعة الأصباغ ولاسيما أصباغ الثياب^(٢)، فيقال زعفرت الثوب أي صبغته^(٣)، ويدخل في صناعة العطور والطيب^(٤)، فيقال: تزعفر الرجل أي تطيب^(٥).

إلا أن أوسع استخداماته هي الطبية كعلاج للعديد من الأمراض، وقد أشارت المصادر إلى أهميته الطبية نذكر منها:

١ - أسهب الرازي في ذكر فوائده الطبية، منها قوله: (قوته منضجة مليئة قابضة يدر البول ويحسن اللون ويذهب بالبخار متى شرب بمبيخنج ويمنع الرطوبات أن تسيل إلى العين متى لطخت به أو اكتحل منه بلبن امرأة، وقد يتففع به أيضاً متى خلط بالأدوية المشروبة للأوجاع الباطنة والفرزجات والضهادت المستعملة لأوجاع الأرحام والمقعدة، ويحرك شهوة الجماع ويسكن الحمرة متى لطخ عليهما وينفع من الأورام الحارة العارضة للأذان،... وقوة دهنه مسخنة منومة ولذلك كثيراً ما

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٤٢٥/١ (مادة زعفر).

(٢) ابن سيده، المخصص، ٢٧٤/٣؛ المحكم والمحيط الأعظم، ٥٢٢/٥.

(٣) ابن سيده، المخصص، ٢٧٤/٣.

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة، ٢٢٠/٣؛ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٥٢٢/٥ (مادة زعفر).

(٥) النزيبدي، تاج العروس، ٤٣٠/١١ (مادة زعفر).

يُوافق المرسمين إذا دهن به أو شم أو دهن به المنخران وينفع الأورام وينقي القروح، ويوافق صلابة الرِّجَم وانضمامها ويحل القروح الخبيثة العَارِضَة، ... وَيُصْلِح للزرقة متى اكتحل به مَعَ الماء وللذين لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْبَلُوا حر الشَّمْسِ، ... الزَّعْفَرَان يفرح القلب حتَّى أَنَّهُ يَقْتُل إن أَكْثَرَ مِنْهُ والشربة القاتلة ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ، ... إِنَّهُ مفتاح لسدد الكبد وَيُقَوِّي الأحشاء شرب أو تضمده به غير أَنَّهُ يَمَلَأُ الرَّأْس وَيَذْهَب غشاوة العين ويردع رطوبتها إذا طلي به عَلَيْهَا مَعَ ألبان النَّسَاء وَيُقَوِّي شَهْوَةَ الجَمَاع ويحلل الأورام وفيه شَيْءٌ من القُوَّة القابضة شرب أو وضع من ظَاهر مَعَ لطافة، ويحلل وَيُقَوِّي الأَعْضَاء البَاطِنَةَ والأَعْضَاء الضعيفة بِمَا فِيهِ من القُوَّة القابضة متى شرب أو وضع عَلَيْهَا من ظَاهر وَيَفْتَح سدَد الكبد وَالْعُرُوق باعتدال المُكَّان مَا فِيهِ من الحُرَارَةِ والمرارة إِلَّا أَنَّهُ يَمَلَأُ الدِّمَاجَ، ... الزَّعْفَرَان جيد للطحال، ...^(١)

٢- ذكر الحميري أن الزعفران (يقوي المعدة ويهضم الطعام ويفتح سدَد العروق والكبد ويدر البول، ...، ويجرك شهوة الجماع إلا أن يكثر منه، فإن أكثر أفسد شهوة الجماع، وإذا اكتحل به مع لبن أم جارية قطع سيلان المواد من العين وقوى حدقتها، وإن صب ماء طبيخه على الرأس نفع من السهر الحادث من البلغم)^(٢).

ومن هنا فإن استخداماته في مفاصل الحياة المهمة كالطيب والملابس والأدوية جعل منه سلعة رائجة ذات مردودات اقتصادية مهمة على

(١) الحاوي في الطب، ١٨٢/٦ - ١٨٣؛ ينظر أيضاً: ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤٦٧/٢ - ٤٦٩.
(٢) شمس العلوم، ٥/٢٧٩٦.

أهالي مدينة باغة التي تركزت فيها زراعته على نطاق واسع ومنها يصدر إلى الآفاق.

أما من الناحية التمدنية فقد أشارت المصادر إلى عدة نعوت لها فبعضها ذكر أن باغة مدينة^(١)، فيما نعتها البعض الآخر بأنها كورة^(٢)، أما العذري فإنه في حديثه عن كورة البيرة قسمها إلى أقاليم وأجزاء، وجعل باغة من أجزائها^(٣)، فيما ذكر ابن الخطيب عند حديثه عن غرناطة بأن باغة من أقاليمها^(٤).

وعند الرجوع إلى هذه النعوت الجغرافية فإن الكورة هي: (كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولا بد لتلك القرى من قصبه أو مدينة أو نهر يجمع اسمها)^(٥)، وأن رأي المقدسي عن تكوير بلاد الأندلس جدير بالملاحظة، فهو يقول: (لو كنت دخلت الأندلس لكورتها لكثرة المدن والإعمال والنواحي بها)^(٦)، ثم يضيف: (غير أنا نعجز عن تكوير الأندلس فتركناها على الجملة ووصفنا كورة قرطبة لما كثر المخبرون عنها واتضح عندنا أمرها، وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم

(١) ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧١/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٤؛
ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلي
المغرب، ٤٥/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٢٢.

(٢) ينظر: ابن حيان، المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ١٧٣، ٢٨٤،
٣٣١، ٣٥٢، ٤٧١؛ ابن الأبار، التكملة، ١١٠/٤؛ ابن عبد الملك المراكشي،
الذيل والتكملة، ١١٠/٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٧٤/٤.

(٣) ترصيع الأخبار، ص ٩٢، ٩٣.

(٤) اللوحة البدرية، ص ١٨.

(٥) معجم البلدان، ٣٦/١ - ٣٧.

(٦) أحسن التقاسيم، ص ٦٥.

فقال: على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثمانى عشرة... وسألت آخر فقال: صدق...^(١)، فالمقدسي هنا يقر بأن الأندلس فيها من الكور وذلك حسب المواصفات التي يراها عند تقسيم المشرق، وإلى ذات المعنى ذهب ابن حوقل عند ذكره الأندلس، بقوله: (وفيها مدن يزيد بعضها على بعض في المحلّ والجباية والارتفاع والولاية والقضاة والمخلفين على رفع الأخبار ويقال لأحدهم مخلف، وليس بها مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح إلى كورة فيها ضياع عداد)^(٢)، علماً أنه زار في سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م الأندلس واطلع على العديد من نواحيها^(٣)، ويرى مؤنس أن مصطلح الكورة في الأندلس لم يظهر إلا بعد سنوات، وظهر على سبيل التجوز لا على أنه مصطلح إداري^(٤) وعلى وجاهة هذا الرأي، إلا أننا نرى أن مصطلح الكورة الذي استخدمه ابن حيان كان ملازماً في أغلب الأحيان للتغيرات في المناصب الإدارية مما يجعله الأقرب إلى مدلولاتها، ومن هنا نرى إطلاق لفظ كورة على مدينة باغة كان ذو مدلولات إدارية أكثر منه جغرافية فالكورة بالأندلس منطقة واسعة تحيط بالمدينة وتكون تابعة لها.

أما الإقليم فإن دلالاته عند أهل الأندلس يختلف عما هو في المشرق، وقد أشار ياقوت إلى ذلك بقوله: (لأهل الأندلس خاصة، فإنهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة إقليمياً، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا

(١) أحسن التقاسيم، ص ١٩٤.

(٢) صورة الأرض، ص ١١٦.

(٣) صورة الأرض، ص ١٠٨.

(٤) فجر الأندلس، ص ٥٩٠.

خواصهم)^(١)، وعلى هذا فالإقليم في الأندلس بلدة تتبعها أرض واسعة، لذا قسموا مثلاً قرطبة وغرناطة إلى أقاليم^(٢) وهكذا بقية مناطق الأندلس، والراجح أن إطلاق إقليم على باغة كان بعد اضمحلال وتراجع دور البيرة فأصبحت من أقاليم غرناطة، وكان ذلك واضحاً من خلال كلام ابن الخطيب عن غرناطة^(٣).

وبخصوص الجزء فقد ورد ذكره عند العذري أنه قسم كورة البيرة إلى أقاليم وأجزاء وجعل باغة جزءاً من البيرة^(٤)، وقد عرف ياقوت الجزء بالأندلس عند حديثه عن مدينة قلعة رباح Calatrava بقوله: (ولها عدة قرى ونواح ويسمونها الأجزاء يقوم مقام الإقليم)^(٥)، ويرى مؤنس أن الأجزاء في الأندلس قد تكون مساحات من الأرض خصصت للإبل والماشية، وينطبق عليها حكم أرض العشب والكلأ في التشريع الإسلامي، فلا تكون مملوكة لأحد، وإنما مشاعاً للجماعة كلها، ولا يجبي منها مال^(٦)، ولعل هذا التعريف للجزء ينطبق على مساحات من أرض باغة قبل قيام الفتنة بالأندلس بعد سقوط الدولة العامرية، وقد لمَّح إلى ذلك العذري بعد حديثه عن أجزاء كورة البيرة بقوله: (ثم وقعت الفتنة على رأس الأربعائة، واقتسمت البلاد وتفرقت الأعمال

(١) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٨.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٩٢.

(٣) ينظر: اللوحة البديرية، ص ١٨.

(٤) ترصيع الأخبار، ص ٩٣.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٢٥.

(٦) فجر الأندلس، ص ٥٩٩.

بأيدي جماعة من الرؤساء، فصار للبربر منها نصيب ولأهل المرية منها نصيب^(١).

ويفهم مما تقدم أن باغة هو اسم لمنطقة واسعة فيها العديد من القرى والإعمال وتكون تابعة إلى المدينة الأم باغة، وقد ذكر ابن حيان العديد من الإشارات الدالة على ذلك منها قوله: إنه في سنة ٣٢١ هـ/ ٩٣٣ م عُزل أحمد بن هشام بن عبد العزيز عن كورة باغة وأعملها^(٢)، وقوله: في سنة ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩ م عُزل يوسف بن سلمان عن كورة باغة وأحوازها^(٣)، كما أشار ابن الخطيب إلى ذلك بقوله: (وإقليم باغة وبه المدينة الشهيرة)^(٤).

ثانياً: التاريخ الإداري والسياسي لمدينة باغة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة عن كيفية فتح المسلمين مدينة باغة أو تاريخ ذلك، إلا أنه على ما يبدو فتحت أثناء فتح المسلمون لكورة البيرة كونها من توابعها، فعندما تمكن طارق بن زياد من هزيمة ملك القوط الغربيين لودزيق في معركة وادي لكة^(٥) Rio Cuadalete في شوال من سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م اتجه إلى إشبيلية Sevilla فتمكن من فتحها ثم اتجه إلى مدينة إستجة^(٦) Ecija التي تجمع فيها قسم من الجيش الجيش القوطي، وبعد هزيمتهم قرر التقدم والزحف مباشرة إلى طليطلة

(١) ترصيع الأخبار، ص ٩٣.

(٢) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٣٣١.

(٣) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٤٦٢.

(٤) اللوحة البدرية، ص ١٨.

(٥) مدينة أندلسية من كورة شنونة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١.

(٦) مدينة أندلسية قديمة تقع بين القبلة والغرب من قرطبة، ينظر: ابن غالب،

غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣.

Tolodo عاصمة القوط الغربيين، وقبل أن يشرع أرسل فرقاً من جيشه لفتح بعض المناطق التي تجمع فيها القوط وهي: قرطبة Cordoba^(١) والبيرة ومالقة Malaga^(٢) وتدمير Tudmir^(٣).

أما بالنسبة للجيش المتجه نحو البيرة فتمكنوا من فتح مدينتها ثم فتحوا غرناطة ثم مضوا إلى تدمير^(٤)، ويمكن القول إن ذلك كان في أواخر سنة ٩٢هـ / ٧١٠م، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط كما قال المقرئ: (كانت الملاقات يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعد تامة ثمانية أيام...) ^(٥)، وكان فتح قرطبة في شوال من السنة نفسها^(٦)، ولما كان كان طارق في طليطلة أوائل سنة ٩٣هـ / ٧١١م^(٧)، فهذا يعني أن دخول البيرة ومنها مدينة باغة في حكم المسلمين كان في المدة بين شوال وذو الحجة من سنة ٩٢هـ / ٧١٠م.

تعد كورة البيرة من المراكز المهمة التي استقر فيها العرب^(٨) وفي

(١) وهي قاعدة وعاصمة الأندلس لحقبة طويلة تقع على نهر الوادي الكبير، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦- ٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦- ٤٥٧.

(٢) وهي كورة كبيرة في الأندلس تقع بين القبلة والشرق من قرطبة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٤٠.

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ١١/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٨/١- ١٩.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٢- ٢٣؛ ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ١٦.

(٥) نضح الطيب، ٢٥٩/١؛ ينظر أيضاً: ابن عذارى، البيان المغرب، ٨/٢.

(٦) ابن عذارى، البيان المغرب، ٩/٢- ١٠؛ المقرئ، نضح الطيب، ١٢/٣.

(٧) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٤.

(٨) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٢٣.

مقدمتهم المستقرين الأوائل من البلديين^(١)، فقد سكن قسم منهم في مدن وبلدات كورة البيرة وفي مقدمتهم عدد من قبيلة جذام^(٢) وقد نزل بعضهم مدينة باغة^(٣)، وتعد قبيلة المعافر اليمينية من المستقرين الأوائل الذين دخلوا مع طارق بن زياد وسكن بعضهم في باغة^(٤) وهم من جند مصر وأطلق عليهم ابن الأبار جند باغة^(٥) لنزولهم إياها، ونزل باغة أيضاً من البلديين بعض من الأنصار وعرفوا فيما بعد ببني الجزيري كان منهم عيسى بن سعيد بن القطاع أيام ابن أبي عامر^(٦).

أما العرب الوافدين الذين استقروا في كورة البيرة فأغلبهم من القبائل القيسية الذين دخلوا الأندلس ضمن طالعة بلج القشيري القيسي^(٧) ثم قام الوالي أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي^(٨) بتوزيعهم

(١) البلديون هم الفاتحون الأوائل الذين تغلبوا على دولة الفوط الغربيين واستقروا مباشرة في الأراضي المفتوحة حسب رغباتهم وأغلبهم ممن دخل الأندلس مع طاعة موسى بن نصير، ينظر: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٦٢.

(٢) طه، الفتح والاستقرار، ص ١٩٦.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٨٣/١.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ٢٠٣.

(٥) التكملة، ٣١٠/٢.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ١٢٣/١ - ١٢٤.

(٧) هو بلج بن بشر القشيري تولى الأندلس سنة ١٢٤ هـ / ٧٤١ م وكانت ولايته أقل من سنة، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٨٣.

(٨) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ولي الأندلس بعد قتل عبد الملك بن قطن ومبايعة أهلها ثعلبة بن سلامة، وكانت توليته من قبل والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٢ م وعزل سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م، ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية واليمانية في موقعة شقندة سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٧٧ - ١٧٨ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٦١/١ - ٦٦.

على مناطق الأندلس فكان نصيب كورة البيرة منهم كبير^(١)، وفي مقدمة هؤلاء بنو مطروح من العرب^(٢) وهم ينتمون إلى بكر بن وائل^(٣)، كذلك بنو تغلب في مدينة باغة وكانوا قد دخلوا الأندلس مع طالعة بلج، وهي تعد من أكبر القبائل العربية فيها حتى أنها نسبت إليهم فقالوا باغة تغلب^(٤).

كان إلى جانب العرب في كورة البيرة هناك سكان البلاد الأصليين من المولدين^(٥) والنصارى والذين كانوا يشكلون أغلب سكانها^(٦)، وقد عاش الجميع في سلام ووثام على الرغم من الحركات التي قاموا فيها وأغلبها تعود لأسباب سياسية، ومما يعزز ذلك أن حركات المولدين هناك لم تكن الوحيدة بل قام العرب والبربر أيضاً بالعديد من الثورات لذات الأسباب^(٧).

ويبدو أن مدينة باغة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة حتى منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولعل ذلك راجع إلى

(١) ينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٢٣- ٢٢٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٢٧٥- ٣٠٠ هـ/ ٨٨٨- ٩١٢ م)، ص ٤٧؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ١٥٤/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٦/٢؛ أبو الخيل، الأندلس، ص ١٥٤.

(٣) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٣٠.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ١٣٤؛ ابن الأبار، التكملة، ١١/١، ٢٣٥/١؛

(٥) المولدون هم أبناء البلاد الأصليين الذين دخلوا الإسلام، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٦٠- ٤٦١.

(٦) أبو الخيل، الأندلس، ص ١٥١.

(٧) ينظر المزيد عن ثورات المولدين والعرب في جنوب الأندلس: أبو الخيل، الأندلس، ص ١١٠ وما بعدها.

قربها من قرطبة وقوة الدولة وحكامها آنذاك، فقد كان أهل مدينة باغة يشاركون حكومة قرطبة في غزواتها لاسيما في الثغور، وقد بلغت مشاركتهم في إحدى الغزوات إلى جليقية Galicia أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣ هـ / ٨٥٢-٨٨٦ م) تسعمائة فارس^(١).

إلا أن عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م) شهد العديد من التمردات والفتن الداخلية، وقد وصف ابن الأثير عهده بقوله: (وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن، وصار في كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته)^(٢).

ويبدو أن الحركات قد استفحلت في معظم مناطق الأندلس ولم تبق قاصرة على المناطق الجبلية، بل تجاوزها إلى القواعد والمدن الكبيرة مثل إشبيلية^(٣) وبطليوس Badajoz^(٤) وجيان والبيرة (بما فيها مدينة باغة) ولورقة Lorca ومرسية Murcia وغيرها، ومن أشهر حركات التمرد التي شهدتها المنطقة هي حركة عمر بن حفصون^(٥) وكانت

(١) ابن حيان، المقتبس (٢٣٢- ٢٦٧ هـ / ٨٤٦- ٨٨٠ م)، ص ٢٧٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٩/٢.

(٢) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٩.

(٣) مدينة أندلسية قديمة تبعد عن قرطبة ثمانين ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٧٤-١٧٥.

(٤) مدينة تقع غرب الأندلس تبعد عن ماردة أربعين ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٩٣.

(٥) عمر بن حفصون كان من المؤلدين ثار بالأندلس بإقليم رية سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠ م واستمرت ثورته حتى عهد الناصر إذ تمكن من القضاء عليه، وكانت وفاته سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م، ينظر: ابن حيان، المقتبس، (للحقة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) ص ٧٢-٧٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٤/٢ وما بعدها؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢ - ٣٥.

بدايتها من حصن ببشتر Bobastro في إقليم ريّة Rejio والتف حوله جماعة من المولدين مستغلاً حالة الانفلات الأمني الذي ساد في عهد الأمير عبد الله ابن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢ م) فاستولى على مناطق واسعة من كورة البيرة وشذونة Sidonia وجيان، وأشار ابن الخطيب إلى أن ابن حفصون (اتسع نظره حتى تملك كورة ريّة، والخضراء، وإلبيرة، إلى بسطة، وأبدة، وبياسة، وقبرة، إلى حصن بلي المطل على قرطبة، وأشرق الخلافة بريقها، ..)^(١)، إلا أنه وعلى الرغم من أن ابن حفصون ظهر سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م إلا أنه لم يتمكن من السيطرة على مدينة باغة إلا بعد وفاة الأمير محمد سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: (ولما بلغ ابن حفصون موت الأمير محمد، وانصرف عنه المنذر على ما تقدم، نهض من فوره، فراسل الحصون التي بينه وبين الساحل كلها، فأجابته وطاعت له، ونهض إلى باغة وجبل شيبية، فأخذ من الأموال ما لا يوصف)^(٢)، وبذلك خرجت باغة من سيطرة حكومة قرطبة.

ويبدو أن النجاحات التي حققها ابن حفصون حركت شهية الطامعين للثورة ضد السلطة الأموية في قرطبة في العديد من مناطق الأندلس، والذي يهمننا هنا ما حدث في مدينة باغة، فقد قام أحد المولدين فيها المدعو سعيد ابن وليد بن مستنة بالسيطرة على المدينة وطرد والي المدينة من قبل حكومة قرطبة عبد الله بن سماعة^(٣)، أما عن تاريخ حركة ابن مستنة فالراجح أنها

(١) الإحاطة، ٤/٢٦.

(٢) البيان المغرب، ٢/١١٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١١٥.

كانت بعد وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن بقليل أي في سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م، ولعله كان ينتظر الفرصة المناسبة، ولا يستبعد أنه كانت له اتصالات مع ابن حفصون وهو من سهل دخوله إلى باغة، فقد ذكر ابن عذارى أن ابن حفصون لما (ثار، وجد من الناس انقياداً وقبولاً للمشاكلة والموافقة، فتألبت له الدنيا، ودخل إلى الناس من جهة الألفة، وقال: طال ما عنّف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وأخرجكم من عبوديتكم!، فكان ابن حفصون لا يورد هذا على أحد إلا أجابه وشكره، فكانت طاعة أهل الحصون بهذا الوجه، وكان أتباعه شطار الناس وشرارهم، فكان يمنيهم بفتح البلاد، وغنائم الأموال)^(١).

كانت الخطوة الثانية التي قام بها ابن مستنة بعد أسر الوالي الأموي أخذ بالتوسع نحو الحصون المجاورة ولكي يحقق مبتغاه استعان بابن حفصون وتحالف معه، واستعان ببعض العرب في باغة والمتذمرين من حكومة قرطبة وهم بنو مطروح من أعيان باغة، ولعله مناهم بإشراكهم معه في الحكم وهو ما مكنه من تحقيق هدفه، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: (سعيد بن وليد بن مستنة صاحب عمر بن حفصون وتاليه في التمرد واللعنة، ثار بكورة باغة واقتعد حصونها الأشعبة، ووافق ابن حفصون في الرأي والمعصية والميل على العرب مع العجم والمولدة، وداخله في سائر أموره، فاستفحل شره وعمّ أذاه وأصطفى من حصونه التي استولى عليها أربعة حصون لا مثيل لها في المنعة، الغالية والنظرة والقونش وأقوط، إلى عدد غيرها، لا تعد لها في الحصانة، قام معه في بعضها بنو مطروح الثلاثة، حارث، وعون، وطالوت، فسطوا على أهل الطاعة وأحدثوا الأحداث

(١) البيان المغرب، ٢/١١٤.

المنكرة حتى خربت مدينة باغة بفتنة سعيد بن مستنة واتخاذها عليها لهذه الحصون الأشبة التي لا يغيب غوارها في كل ساحة^(١).

ثم عقد عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة وسعيد بن هذيل الذي قام في جيان^(٢) تحالفاً وحدوا فيه عسكرهم ضد قوات الإمارة الأموية، وأخذوا بمهاجمة جيان^(٣)، كانت ردة فعل حكومة الإمارة في قرطبة سريعة، ولعل صرخات الأهالي بسبب ما فعله ابن مستنة وابن حفصون وابن هذيل بكورة البيرة وجيان عجلت في ذلك، فضلاً عن أنها استشعرت خطورة ذلك التحالف القريب من قرطبة، فخرج الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ / ٨٨٦ - ٨٨٨ م) بنفسه على رأس جيش سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م هاجم فيها أولاً معاقل ابن حفصون وحصره في معقله ببشتر Bobastro^(٤) ثم اتجه نحو باغة واستنزل بني مطروح وقدم بهم أسارى إلى قرطبة حيث صلبهم هناك، وقد علق ابن عذارى على ذلك بقوله: (... وظفر أيضا ببني مطروح، وهم: حرب^(٥)، وعون، وطالوت، وافتتح حصونهم بجبل باغة، وأتى بهم إلى الأمير أسارى، فبعث ببني مطروح إلى قرطبة، وأمر بقتلهم وصلبهم، وكانوا

(١) المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ٤٧.

(٢) سعيد بن هذيل أحد المولدين خرج عن طاعة حكومة قرطبة في جيان وتحالف مع ابن حفصون ثم استمر في تمرد حتى أذعن بالطاعة أيام عبد الرحمن الثالث الناصر، ينظر: ابن حيان، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ٤٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ٤٧.

(٤) وهو أحد حصون كورة رية المنيعه بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٣.

(٥) عند ابن حيان: حارث، ينظر أعلاه.

اثنين وعشرين رجلاً، فصلبوا بأجمعهم)^(١).

وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م) استفحل أمر ابن مستنة واتخذ من مدينة باغة وحصونها منطلقاً لتوسيع نفوذه وعقد تحالفات عدة مع القوى المجاورة له، وعلى الرغم من تعصبه الشديد للمولدين فقد وصفه ابن حيان بقوله: إنه كان شديد الميل على العرب مع العجم والمولدة)^(٢) إلا أنه كان في سبيل تحقيق مآربه لا يجد بأساً في التحالف مع العرب المشاركين رأيه ضد الإمارة الأموية وحتى التقاطع مع ابن حفصون المولدي عندما تظاهر بالولاء للأمويين^(٣) كما سنرى.

ففي سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م عقد صلح بين الأمير عبد الله وابن حفصون أسندت إليه ولاية كورة رية)^(٤) إلا أن ذلك لم يرق لسعيد بن مستنة صاحب باغة فتحالف مع بعض العرب من قلعة يحصب Alcala La Real^(٥) وأخذ يشن الغارات على كل من دخل في طاعة الإمارة في قرطبة ولاسيما من العرب فتضجر الناس من ذلك واستغاثوا بالأمير عبد الله فبعث إليهم قائده إبراهيم بن خيمر وكتب إلى ابن حفصون الذي كان والياً على رية يأمره بمساعدة ابن خيمر ضد ابن مستنة حليفه القديم، ولعل الأمير عبد الله أراد من ذلك زيادة شقة الخلاف بينها بسبب ما

(١) البيان المغرب، ١١٥/٢ - ١١٦.

(٢) المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ٤٧.

(٣) أبو الخيل، الأندلس، ص ١٥٤.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ١٢٢/٢/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٣/٢.

(٥) قلعة يحصب من كورة البيرة بينها وبين حاضرة البيرة ثلاثون ميلاً، ينظر:

ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٩.

كانت تجمعها رابطة الدعوة للمولدين^(١) فضلاً عن أن قسماً كبيراً من أتباع ابن مستنة كانوا من المولدين فلعل وجود ابن حفصون المولدي يضعف من حماسهم في القتال مع ابن مستنة.

وقد تنبه ابن حفصون إلى ذلك فأرسل إلى ابن مستنة سراً يوصيه بالثبات على الدعوة المولدية وأنه سيعمل من تخفيف وطأة الجيش عليه، فلما تحرك جيش الإمارة بقيادة إبراهيم بن خمير كان معه عمر بن حفصون يخلده حتى تمكن بالاتفاق مع ابن مستنة من اعتقال قائد الإمارة ابن خمير وأعلن عندها ابن حفصون تمرده وأخذ ابن خمير إلى حصن بلاي Poley^(٢) واشتدت شوكته بمعاوضة ابن مستنة صاحب باغة، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله إن سعيد بن مستنة (أظهر مباينة خليله عمر بن حفصون لمقامه إلى الوقت على ما يظهره من طاعته، وعاقده عرب اشبتيط ووشقة من قلعة يحصب، وهم بنو أسن ومن ظاهرهم فانبسطوا بالغارات على ألوي الطاعة بجهاتهم، وعند ذلك ابتنت العرب هذه الحصون على أرضهم وأرزوا إلى القلعة المعروفة بقلعة يحصب، واستغاث الناس الأمير عبد الله منهم فخرج إليهم إبراهيم بن خمير، قائداً في جيش ضمه إليه وكتب إلى عمر بن حفصون يأمره بالخروج مع إبراهيم بن خمير لمحاربة سعيد بن مستنة وحلفائه من بني يبين وأشركه في قيادة الجيش مع ابن خمير، فخرج عمر بن حفصون مع إبراهيم وانحشدت لهما الحشود العظيمة، فكتب عمر إلى ابن مستنة

(١) أبو الخيل، الأندلس، ص ١٥٥.

(٢) وهو أحد حصون مدينة قبيرة القريبة من قرطبة كان غاية في المناعة، ينظر: ابن حيان، المقتبس، (للحقب ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١١٤.

في السر يثبته على الخلاف ويثنيه عما شرع فيه من موالاته العرب من بني
 يمين وغيرهم ويخوفه على ضمائرهم ويوصيه بالثبات على الدعوة المولدية
 التي تضمن له تخفيف وطأة الجيش الذي هو فيه مقبل عنه، وفعل وفعل
 ذلك عنه وأوطأ الجيش بلده ووطأ من لا أرب له في النكاية ولا رغبة له
 في الإصلاح، وقد صار زمام الجيش بيده فتسلط على محاذيه من العرب،
 يقيد الرجال ويأخذ الأموال ويرجل الفرسان العرب بضرَب من
 الاعتلال، فيحمل على خيولهم المولدين فإذا كلمه إبراهيم بن خمير في
 ذلك موه له العذر وحسن عليه الرد، فزاد الأمر فساداً واتسع الخرق
 وجال عمر بالعسكر حتى انتهى لمدينة وادي آش^(١) يغزو بمن معه من
 المولدين من أهل دعوته ويذل أضدادهم من العرب محاذية. .. ثم باين
 آخر ذلك كله بالانتكاث، وجاهر بالخلعان فقبض على إبراهيم بن خمير
 قائد السلطان وعلى جماعة من أصحابه. .. وأقبل بجميع نهبهم وما غنمه
 لهم فصيره بداخل حصن بلاي من كورة قبرة^(٢) ونزل فيه برجاله مطلاً
 على قنابية^(٣) قرطبة. .. فأخذ بمخنق أهل قرطبة أجمعين فاضطربت
 بأهلها وضائق عليهم^(٤).

وعلى إثر ذلك فقد أفلح كل من ابن مستنة صاحب باغة وابن

(١) وهي إحدى مدن كورة البيرة قريبة من غرناطة، ينظر: ابن غالب، فرحة
 الأنفس، ص ١٤.

(٢) وهي كورة تتصل بكورة قرطبة وهي إلى القبلة منها، ينظر: ابن غالب،
 فرحة الأنفس، ص ١٣.

(٣) وهي قرية من نواحي قرطبة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان،
 ص ٢٣٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس، (للاحقة ٣٠٠٢٧٥ هـ / ٩١٢٨٨٨ م)، ص ١١٣-١١٥.

حفصون من الاستيلاء على حصن بلاي الحصين وعادت المياه إلى مجاريها بالنسبة إلى العلاقة بين الجانبين بعد أن انقطعت بسبب مسالمة ابن حفصون لحكومة قرطبة واتفقا على العمل المشترك ضدها.

كانت ردة فعل الأمير عبد الله قوية جداً بسبب ما حصل من غارات ابن حفصون وأنصاره على قرطبة فقرر انتزاع حصن بلاي منه، وأن يتولى بنفسه قيادة الجيش على الرغم من معارضة بعض مستشاريه، فخرج بقواته في بداية سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م وتمكن من هزيمة ابن حفصون والاستيلاء على حصن بلاي، واضطر ابن حفصون إلى الانسحاب نحو حصن بربشتر، واشترك سعيد بن مستنن صاحب باغة في هذه المعركة مع ابن حفصون، وقد أشار ابن حيان إلى أن ابن حفصون قبل المعركة كان يهزأ بالأمير عبد الله ويقول إنه تكفل بخمسائة دينار لمن يأتيه بخبر بروز الأمير عبد الله إليه، فلما انهزم مع ابن مستنن ذكره الأخير وهما في الطريق بمقالته، إذ قال: (وحكي أن سعيد ابن مستنن صاحبه وظهيره، داعبه في طريق هزيمته هذه، وقال له قد وفر الله عليك الخمس مائة دينار التي كنت بذلتها، فكيف رأيت عقبي الاغترار ببني أمية؟ فغضب من قوله، وقال: ذاك من جنبك وجنب أمثالك من أشباه الرجال، وذلك أن عمر إذ سمع بتهيئة الأمير عبد الله لغزوه وعمله على الخروج نحوه كان يتضحك ويقول: هذا توهم أهل اللبيلة، يعني جماعة البقر بالعجمية، ليته فعل! من جاءني بفصوله نحوي أعطيته خمس مائة دينار)^(١).

كان لهزيمة ابن حفصون وابن مستنن صاحب باغة وقعها على

(١) المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١٢٠.

الطرفين، فقد لاذ كل منهما بمعقله، وفيما يخص الأخير فإنه انسحب إلى قلعته الحصينة كركبولية في مدينة باغة وكان قد أعدها لأيام الضيق، ومن جانبه فإن الأمير عبد الله باشر بالزحف على المناطق التي كانت تدين بالولاء لابن حفصون وابن مستننة فتمكن من استعادة جيان وبعض مدن كورة البيرة^(١) إلا أنه لم يتابع زحفه نحو باغة حيث سعيد ابن مستننة إذ كان يعد له حملة أخرى.

أدرك الأمير عبد الله أن تحالف ابن مستننة مع ابن حفصون يسبب له الكثير من الصعوبات عند المواجهة لذا عمل على مهادنة ابن حفصون سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م^(٢)، ثم استغل هذه الهدنة لمهاجمة ابن مستننة في باغة، ففي الصيف من السنة نفسها خرج الأمير عبد الله مع قائده عبد الملك ابن عبد الله بن أمية نحو باغة حيث حصون ابن مستننة وتمكن من محاصرة حصن كركبولية وضيق عليه مما اضطر ابن مستننة إلى طلب الأمان فأمنه بعد أن اشترط عليه هدم الحصن كي لا يعود إليه مرة أخرى، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: (وفيها غزا الأمير عبد الله كركبولية بنفسه صائفة وقصد سعيد بن مستننة ظهير اللعين عمر بن حفصون إلى جبال باغة وقاد بهذه الصائفة عبد الملك بن عبد الله بن أمية، فاستغزى العسكر حصون سعيد بن مستننة وحاصرها وذهب بزروعها وانتسف أشجارها ثم نزل حصن كركبولية منها فأقام عليه موالياً بالتضييق مرامياً عن المجانيق حتى أجهد أهله وأرادوا أن يلقوا بأيديهم فدعا أميرهم الفاسق سعيد بن مستننة عند ذلك إلى الطاعة وباء

(١) ابن حيان، المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١٢٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١٢٨.

بالذنب ولاذ بالعفو، فأجابه الأمير إلى ذلك وعقد أمانه على يدي ابن الحارث بن بزيغ واشترط عليه هدم حصن كركبولية ففعل ذلك بمراى من الأمير حتى غادره قاعاً صفضفاً، فكان ذلك أقصى أثر الأمير عبد الله في غزوته ثم قفل عنها راجعاً إلى قرطبة^(١).

ويبدو أن سعيد بن مستنة تعلم ذات الدرس من ابن حفصون، إذا ضيقت عليه جيوش الإمارة لاذ إلى الطاعة وإذا لمس فيها ضعفاً عاود إلى الخلع والتمرد ضد السلطة طمعاً في حكم منطقته من حصون باغة حكماً ذاتياً^(٢)، وعليه لم يلبث طويلاً حتى عاد إلى التمرد مستغلاً تطاول الكثير من المتمردين المجاورين له، ويبدو أنه استغل انكفاء الأمير عبد الله في قرطبة واكتفاءه بإرسال قادته^(٣) فعاد إلى خلع الطاعة، فأرسل إليه الأمير عبد الله سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م قائده عبد الملك بن أمية، وأشار بن حيان إلى أن القائد ابن أمية حارب الخارجين عن الطاعة في عدد من مدن وأحواز كورة البيرة ومنها مدينة باغة إذ قال: (واحتل بعد ذلك حاضرة باغة فأفسد زرعها وقطع أشجارها وتوم بها يومين حتى أوعب)^(٤)، ويفهم من رواية ابن عذاري أن القائد ابن أمية حقق بعض المكاسب ولكنه قفل راجعاً إلى قرطبة إذ قال: (في سنة ٢٨١، أغزى الأمير عبد الله

(١) المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) أبو الخيل، الأندلس، ص ١٥٦.

(٣) ذكر ابن حيان أن الأمير عبد الله بعد غزوة كركبولية عاد إلى قرطبة ولم ير خارجاً منها بعد وكانت آخر غزواته بنفسه حتى وفاته، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١٢٩.

(٤) المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١٣٢.

عبد الملك بن أمية، فتقدم إلى حصون ابن مستنة، ونازل حصن آشر^(١)، وحاربه، وقتل من أهله عدداً كثيراً، وهدم حصن السهلة، ثم قفل إلى قرطبة^(٢).

وذهب أبو الخليل إلى أن ابن مستنة بعد هذه الغزوة أظهر الطاعة للإمارة مثلما فعل غيره من المتمردين إذ لم تسجل المصادر خروج قوات من قرطبة تجاه مناطق على مدى سنوات عدة، قال: ومما يعضد ذلك أنه في سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م استعان به الأمير عبد الله لمواجهة أحد المتمردين في جيان^(٣) فلبى طلبه وقبض على المتمرّد فهر بن أسد وتقرب به إلى الأمير عبد الله^(٤)، ومع إننا لم نعثر على ذلك الدليل من المصادر التي أشار إليها إلا أننا أيضاً نرجح ذلك أيضاً بدليل أنه في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م أن مسلم بن مولود أحد المتمردين في كورة شذونة Sedona قبض عليه عمر بن حفصون واعتقله في بيشتر إلا أنه أعمل الحيلة وفرّ إلى سعيد بن مستنة وكان سعيد آنذاك منابذاً لابن حفصون فرحب به وأرجعه إلى حصنه في جبل الحجارة واستمسك بالطاعة^(٥)، وهذا يعني أن سعيد بن مستنة كان لا يزال على الطاعة، ومع ذلك فإن شخصية ابن مستنة المتلونة تجعل من الصعب رصد سلوكه، فقد وصفه ابن حيان بقوله: (كان مع سوء فعلته

(١) وهو حصن في كورية رية قرب قبيرة بينه وبين أرشدونة عشرين ميلاً وبينه وبين باغة ثمانية عشر ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢ - ٥٧١.

(٢) البيان المغرب، ١٤٢/٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٢/٢.

(٤) الأندلس، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١١٥.

يجنح إلى السلم ثم ينقض ويجدد موالاة ابن حفصون ومعاقدته، وربما تلون عليه تلونه على السلطان فتجري بينهما خطوب طويلة^(١).

وفي سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م ساءت العلاقة بين ابن مستنة والإمارة ما دفع الأخير إلى تجديد مودته لابن حفصون وإظهار منه على حسن النية سلم الأخير حصنه الكائن في باغة^(٢)، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: (وفيها، غدر سعيد بن الوليد المعروف بابن مستنة، وتحلى عن حصن بلده إلى عمر بن حفصون، وظافره، وأبدى ما كان بضميره من العصيان)^(٣)، عندها وجه الأمير عبد الله في ذي القعدة من السنة التالية (أي ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) قائده أحمد بن محمد بن أبي عبدة الذي قصد أولاً ابن حفصون في حصن ببشتر، ربما ليقطع ما بينه وبين ابن مستنة، ثم اتجه إلى حصن لك^(٤) حيث كان يتحصن به ابن مستنة فحاصره وأقام عليه حتى محرم من سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م حيث تم فتحه^(٥).

إلا أن الحملة أعلاه لم تفلح في القضاء على حركة ابن مستنة في باغة، فقد تمكن من الفرار والتحق بابن حفصون وانضم إليهم سعيد بن هذيل المتمرد في حصن المتلون Montileon في كورة جيان^(٦) وتحالفوا

(١) المقتبس، (للحقبه ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص ٤٧- ٤٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص ١٦٥.

(٣) البيان المغرب، ٢/ ١٤٣.

(٤) ورد عند الحميري لكه، وقال: مدينة قديمة من كورة شنونة على نهر الاسم، الروض المعطار، ص ٥١١.

(٥) ابن حيان، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص ١٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ١٤٤.

(٦) ينظر عنه: ابن حيان، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص ٤٦.

فبما بينهم على مقاتلة أهل الطاعة لحكومة قرطبة في ذات السنة أعلاه، فأرسل إليهم الأمير عبد الله قائدة أحمد بن محمد بن أبي عبدة وتمكن من هزيمتهم^(١)، وفي السنة التالية (أي ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م) عاودت قوات الإمارة على مهاجمة معقل ابن حفصون وابن مستنة في ببشتر وباغة وألحقت بهم هزيمة كبيرة^(٢)، وقد علق ابن عذارى على هذه الهزيمة بقوله: (فدارت بينهم حرب شديدة، وانهمز عمر بن حفصون وابن مستنة، فقتل من أصحابها خلق كثير، وافترقوا أيادي سبا)^(٣).

ثم توالى الهزائم على ابن مستنة عندما ثار أهل حصن أشر على ختنه المدعو فضل بن سلمة وقتلوه وأرسلوا برأسه إلى الأمير عبد الله بقرطبة فصلبه هناك وشكر لهم صنيعهم في السنة نفسها أعلاه (أي ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م)^(٤)، وهو مؤثر على أن أهالي مدينة باغة وحصونها قد سئموا من حالة الفوضى التي عمت مناطقهم طيلة حوالي أربعة عقود عانوا خلالها الأمرين من القتل والتهجير وانتساف الزروع وهدم الدور ما جعلهم يميلون إلى جانب الإمارة في أواخر عهد الأمير عبد الله الذي توفي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م.

ولكن على الرغم من الهزائم المتكررة التي لحقت بابن مستنة صاحب باغة على أيدي قوات الإمارة في قرطبة إلا أنها لم تستطع القضاء عليه

(١) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١٦٧ -

١٦٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ١٤٥/٢ - ١٤٦.

(٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١٦٨.

(٣) البيان المغرب، ١٤٧/٢.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ١٤٧/٢.

نهائياً طيلة تلك المدة، وربما يعود ذلك إلى ما كانت تعانيه البلاد من الفوضى أيام الأمير عبد الله والتي وصفها ابن الخطيب بقوله: (وتصيرت إليه الخلافة، وقد تحين النكث أطرافها، واقتسمها الشوار، وكلب عليها الأشرار، ولم يبق منها إلا الاسم فرق ظهر منبر قرطبة، والقليل من غيرها، وساءت الظنون، ولم يدر عبد الله إلى أين يصرف وجهه)^(١).

وهكذا قُدر للأمير عبد الرحمن الثالث الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) أن يرث تركة ثقيلة من الفوضى العارمة التي خلفها سلفه وجده الأمير عبد الله إلا أن ما ساعده على مواجهتها أن أغلب تلك التمردات قد مرّ عليها الزمن وفقدت الكثير من بريقها وفتّر حماس الناس لها إذ لم تجلب لهم سوى المزيد من الفوضى ما جعلهم يتوقون إلى من يخلصهم من ذلك فكان الأمير عبد الرحمن الثالث رجل المرحلة.

عمل الأمير عبد الرحمن الثالث إلى إطفاء نيران الفتنة عبر الترغيب والترهيب، فأرسل بكتبه إلى جميع العمال في الكور والولايات إلى طلب البيعة والاستسلام، فأطاعه بعضهم وعاملهم بكل ضروب التسامح واللين^(٢)، وبعد مرور شهر على ذلك شرع بإعداد حملة للقضاء على العصيين، وابتدأ بجيان لقربها من قرطبة ثم عرج على كورة البيرة، وقد وصف ابن حيان فتوحه هذه بقوله: (وانتهت فتوحه في الكورتين جميعاً في غزوته هذه إلى سبعين حصناً من أمهات الحصون، كل حصن منها كان عالي الاسم بعيد الصيت ملجأ لذوي الخلاف والمعصية، قد كانت

(١) أعمال الأعلام، ٢/٢٨.

(٢) سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٨٠؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٥٠.

فيه وقائع معلومة، وانضم إلى هذه الجملة ما فتح بفتحها من قصابها ومراقبها وبناتها وذواتها قاربة الثلاث مائة ما بين حصن وبرج^(١)، وأمام هذه الضربات تراجع ابن حفصون إلى قلعته الحصينة ببشتر وأخذ يراقب الموقف ثم أيقن أن الرياح تجري لصالح حكومة قرطبة ركن إلى الصلح وذلك سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م فتم الصلح وأعطاه الأمير عبد الرحمن الأمان له ولأتباعه، وقد علق ابن الأثير على ذلك بقوله: (وانتهت الحصون التي دخلت في أمان عمر بن حفصون، على ما وقع في تسميتها في كتاب العهد إلى مائة واثنين وستين حصناً)^(٢).

وبخصوص سعيد بن مستنة في باغة، فقد استنزله الأمير عبد الرحمن الثالث سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م، فقد أشار ابن حيان إلى أنه في هذه السنة (استنزل الناصر لدين الله من أهل الخلاف بالمتوسطة بني سعيد بن ناصح المعروفين ببني مستنة من حصونهم بكورة باغة المعروفة بريوش وعالية وبناتها)^(٣)، وأشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: (وفي هذا العام، استنزل بنو سعيد بن ناصح بن مستنة من حصون باغة المعروفة بعالية وربرش)^(٤).

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: أين كان ابن مستنة طيلة هذه المدة (حوالي تسع سنوات) من حكم الأمير عبد الرحمن الثالث، لماذا لم يبادر إلى الطاعة كغيره؟ ولا سيما وأن حليفه ابن حفصون بادر إليها منذ سنة

(١) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٦١ - ٦٢.

(٢) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ١١٥.

(٣) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ١٧٣.

(٤) البيان المغرب، ٢/ ١٨١.

٣٠٣هـ/ ٩١٥م، وهل لديه من الأتباع ما يكفي لمواجهة قوات حكومة قرطبة فاغتر بهم؟، أسئلة لم نجد لها جواباً في المصادر التي بين أيدينا، ولعله انكفاً في أحد حصونه يراقب الأحداث ولم يحرك ساكناً حتى أتاه مصيره باستنزاله قسراً، وأن هناك احتمال أن سعيد بن مستننة مات قبل هذا التاريخ، ففي رواية ابن حيان وتبعه فيه ابن عذاري أن الأمير عبد الرحمن استنزل بني سعيد، فلعله توفي وورث أولاده حصونه في باغة وركنوا إلى الهدوء حتى استنزلهم الأمير.

وهكذا عادت مدينة باغة ومنطقتها إلى الطاعة كما كانت عليه قبل تمرد بني مستننة، وأخذت حكومة قرطبة ترسل إليها الولاة حسب ما تراه، ويبدو أن ذلك استمر طيلة القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، يتبين ذلك من خلال ما وصلنا من روايات ابن حيان، فقد أشار إلى أنه في سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م عين الخليفة الناصر أحمد بن شهيد^(١) على باغة وأحوازها^(٢)، وفي سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م عزل أحمد بن هشام بن عبد العزيز^(٣) عن كورة باغة وأعمالها ووليها محمد بن بدر^(٤)، ثم عزل محمد بن بدر بعد سنة ووليها عيسى بن محمد^(٥)، ثم عزل عيسى بن محمد عن كورة باغة وعين مكانه عبيد الله بن موسى وذلك سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م^(٦)،

-
- (١) ذكر ابن بشكوال ابنه عبد الملك بن أحمد بن شهيد له كتاب التاريخ تويج سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م، الصلة، ص ٣٣٨- ٣٣٩.
- (٢) المقتبس (٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٢٨٤.
- (٣) قال الحميدي: أحمد بن هشام بن عبد العزيز الأموي أديب وشاعر وأورد بعض شعره، جذوة المقتبس، ص ١٤٨- ١٤٩.
- (٤) المقتبس (٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٣٣١.
- (٥) المقتبس (٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٣٥٣.
- (٦) المقتبس (٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٣٧٦.

وفي سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م أسندت ولاية كورة باغة وأعمالها إلى عبد العزيز بن عبد الله بن بسيل بدل يوسف بن سلمان^(١)، وفي سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م عزل عبد السلام بن عبد الله من كورة باغة وأحوازها بنجم بن طرفة^(٢)، وعلى الرغم من أن معظم الولاة على باغة أعلاه لم نحصل على ترجمة لهم إلا أن هذه التغييرات المستمرة طلية المدة بين ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م و٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م والتي ذكرها ابن حيان تعكس أحد أمرين إما قلق حكومة قرطبة من الأوضاع فيها أو للحيلولة دون تمكين العمال اتخاذ نفوذ لهم هناك، وفي كلاهما تعكس الاهتمام الكبير الذي توليه حكومة قرطبة بهذه المنطقة.

يبدو أن قبضة حكومة قرطبة استمرت بعد ذلك لعدم ذكر المصادر أحداث مهمة وقعت فيها واستمر ولاء الناس وطاعتهم، ففي سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م استقبل الخليفة المستنصر بالله وفود المهثين بانتصار جيوشه بالغرب^(٣) ومن بينهم وفداً من مدينة باغة^(٤).

وبعد سقوط الدولة العامرية وظهور في الأندلس ما يسمى بالفتنة^(٥)

(١) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٤٦٢.

(٢) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٤٧١.

(٣) ينظر التفاصيل عن حروب المغرب أيام المستنصر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٤٦/٢ - ٢٤٨؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٨٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس (للحقب ٣٦٠ - ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤ م) ص ٢٠١.

(٥) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م، ينظر: العذري، ترصيع الأخيار، ص ١٦؛ المراكشي، المعجب، ص ٧١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/ ١٥٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٥٣.

في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وما تلاها من سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠م بدأ عصر جديد في الأندلس أطلق عليه المؤرخون عصر دويلات الطوائف Taifas, Los (٤٢٢-٤٨٤ هـ/ ١٠٣٠-١٠٩١م) وأحسن وصف لهذا جاء على لسان ابن الخطيب إذ قال: (نقول وبالله الاستعانة ومنه الحول والقوة ذهب أهل الأندلس من الانشقاق، والانشعاب، والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتبت عنهم الكتاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين، وشهدت بوجوب حقهم الشهود، ووقفت بأبوابهم العلماء، وتوسلت إليهم الفضلاء، وهم ما بين محبوب، وبربري مجلوب، ومجد غير محبوب، وغفل ليس في السراة بمحسوب، ما منهم من يرضى أن يسمى نائراً، ولا لحرب الحق مغائراً، وقصارى أحدهم يقول: أقيم على ما بيدي، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه، ولو جاءه عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه، ولا لقي خيراً لديه، ولكنهم استوفوا في ذلك آجالاً وأعماراً، وخلفوا آثاراً، وإن كانوا لم يبالوا اغتراراً، من معتمد، ومعتضد، ومرتضى، وموفق ومستكفي، ومستظهر، ومستعين، ومنصور، وناصر، ومتوكل)^(١).

وهكذا انقسمت الأندلس إلى دويلات فكانت كورة البيرة من

(١) أعمال الأعلام، ١٣٩/٢ - ١٤٠.

نصيب بني مناد الصنهاجيين^(١) الذين حكموا المنطقة للمدة من ٤٠٣ - ٤٨٣ هـ / ١٠١٢ - ١٠٩٠ م^(٢)، وقد امتدت حدود دولتهم إلى جيان^(٣) وبذلك فقد أصبحت مدينة باغة ومنطقتها ضمن دولتهم، وفي أواخر عهد حبوس بن باديس (٤٢٩-٤٦٧ هـ / ١٠٣٧-١٠٧٤ م) رابع حكام بني زيري في غرناطة أخذ عمال المناطق التابعة له يتدخلون في شؤون الدولة وذلك بسبب إطلاق يد وزراءه في الحكم، ففي وزارة الناية^(٤) الذي وصفه ابن بلقين (بأنه الحاكم دون السلطان)^(٥) تأمر صاحب باغة وصاحب قبرة Cabra وصاحب وادي آش Guadix على الإيقاع بالناية، فعلاً تمكنوا من قتله^(٦)، ولم يذكر ابن بلقين اسم صاحب باغة واكتفى بالقول إنه ابن القاضي^(٧)، وعلى أية حال فإن ذلك يدل على تنامي نفوذ أولئك الولاة في مناطقهم ومنهم صاحب باغة.

وكان المتآمرون ييغون من وراء ذلك تنحية حبوس بن ماكسن وتقديم ابنه ماكسن^(٨)، وعندما تم لهم تصفية الناية أوجس حلبوس

(١) ينظر عن نسب بني مناد في غرناطة: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣١٧؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٢٣٨.

(٢) ينظر التفاصيل عن دولة بني مناد: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٠/٢-١٤٦.

(٣) الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٠٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس ١٢٦/٢، ١٣٣.

(٤) كان الناية عبداً للمعتضد بن عباد واتهم بالتآمر عليه ففر إلى حبوس بن باديس الذي قربه وحظي عنده حتى استوزره بعد مقتل وزيره اليهودي يوسف بن نغزالة، ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص ٣٥-٣٦.

(٥) التبيان، ص ٤٤.

(٦) ابن بلقين، التبيان، ص ٤٦-٤٧.

(٧) التبيان، ص ٤٦.

(٨) هو ماكسن بن حبوس اختلف مع أبيه وفر إلى جيان وجمع حوله بعض أقاربه معارضاً لأبيه، ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص ٤٤.

منهم خيفة واستوزر نصرانياً يدعى أبا الربيع كان من كتاب الحشم فلما أحس بذلك المتأمرون جاءه صاحب باغة ولد القاضي وقال له: (إن كنت تعزم على أبي الربيع، فنحن لا نبقى معك، ولا يلتوي أحد حوالبك، فأجابه: ألا أبقى الله منكم أحداً)^(١)، وقد علق ابن بلقين على جواب جده حلبوس لصاحب باغة بقوله: (وضيع الحزم في هذا، وقد علم أن بيده مدينة لا يملك منها معه شيئاً)^(٢)، هذا يعني أن صاحب باغة ولد القاضي كان قد استقل في إدارة باغة من دون الرجوع إلى حلبوس الذي كاد أن يفقد السيطرة على المدينة بسبب سوء تعامله مع حاكمها، كما أخذ يخرض حكام باقي المناطق على حلبوس، وقد علق ابن بلقين على ذلك بقوله: (فعملت في نفس صاحب باغة وأهل الدولة، وتغيرت الأنفس، وكثر الإرجاف، واتفق مع صاحب قبرة، وكان صديقه قديماً)^(٣).

ويبدو أن صاحب مدينة باغة بعد ما جرى بينه وبين حلبوس بن باديس رجع إلى بلده باغة وأخذ يراقب الموقف وما يؤول إليه أمر الحكم في غرناطة بسبب تشتت الكلمة وتفرق الناس عن أميرها الذي لم يطل به الوقت كثيراً إذ توفي سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م^(٤)، فتسلم حكم غرناطة بعد حفيده عبد الله بن بلقين (٤٦٧ - ٤٨٣ هـ / ١٠٧٤ - ١٠٩٠ م) وقد وصفه ابن الخطيب بالقول: (كان عبد الله بن بلقين جبناً مغتمد السيف،

(١) ابن بلقين، التبيان، ص ٤٧.

(٢) التبيان، ص ٤٧.

(٣) التبيان، ص ٤٧.

(٤) اختلف في سنة وفات حلبوس بن باديس والراجح أن ذلك كان سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م، ينظر: الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٦٩.

متكاسلاً عن الخيل، زاهداً في النساء، موصوفاً بالضعف^(١)، وفي أيامه ضعفت دولة بني مناد الصنهاجيين في غرناطة وتكالب عليها بقية دويلات الطوائف^(٢)، وعلى الرغم من أنه تمكن من القضاء على الخارجين على حكمه في بعض المناطق إلا أنه لم يتمكن من السيطرة على باغة.

ذلك أن صاحب باغة منذ أن افترق عن الأمير حلبوس بن باديس أخذ يعمل على توطيد نفوذه في مدينة باغة وما حولها، كما أنه أقام علاقات مع بعض المناطق المجاورة ولاسيما مع بني عباد^(٣) حكام إشبيلية، فذكر ابن بلقين أن صاحب باغة اتفق مع ابن عمار^(٤) وزير المعتمد بن عباد^(٥) على أن يسهل غزو الفونسو السادس (٤٥٨-٥٠٢هـ/

(١) أعمال الأعلام، ٢١٣/٢؛ ينظر أيضاً: الإحاطة، ٢٩٠/٢.

(٢) ينظر المزيد عن حالة دولة بيني مناد أيام عبد الله بن بلقين: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢١٢/٢ - ٢١٤؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٧١-١٧٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٤٢/٢ - ١٤٦.

(٣) بنو عباد من بني لخم عطاف بن نعيم اللخمي إلى الأندلس وتمكنوا في أيام الطوائف من إقامة دولة لهم امتدت من سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣ م حتى سقوطها بيد المرابطين سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١ م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٤٧/٢ - ١٦٦؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٢٢ - ٢٢٦.

(٤) هو أبو بكر بن عمار بن حسين المهري من شلب، كان واحداً من كبار شعراء الأندلس طاف على أمراء الطوائف ثم اختص بالمعتمد بن عباد الذي استوزره ثم تقلبت به الأحوال فغضب عليه وقتله سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤ م، ابن بسام، الذخيرة، ٢٧٨/٢ - ٣٢٦؛ المراكشي، المعجب، ص ٨٥ - ٩٧؛ ابن الأبار، الحلة السرياء، ١٣١/٢ - ١٦٥.

(٥) حكم المعتمد بن عباد دولة إشبيلية من سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨ م حتى دخول المرابطين إليها واعتقاله سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١ م، وكانت وفاته ٤٨٨هـ/١٠٩٦ م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السرياء، ٥٢/٢ - ٦٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٤/٢ - ١٦٢.

١٠٦٥-١١٠٨ م) لغرناطة بعد أن رفض هو (أي عبد الله بن بلقين) دفع الجزية^(١)، وتشير الطويل إلى أن حاكم باغة آنذاك هو أيوب بن مطروح الذي أطاح به المرابطون Almoravides, Los فيما بعد، وإذا صح ما ذهب إليه فإنه نفسه ابن القاضي الذي تآمر علي الأمير باديس بن حبوس كما ورد أعلاه، وأضافت إلى أنه (أي مطروح) خاض الفتنة لأنه كان يطمح لحكم غرناطة مكان ابن بلقين إلا أنه فشل فعفا عنه الأخير^(٢)، ومما يعزز ذلك أيضاً هو ما ذكره ابن سعيد من أن أيوب بن مطروح ثار على عبد الله بن بلقين واستقل في باغة^(٣).

وعلى الرغم من أن أيوب بن مطروح قد استقل في باغة إلا أن الأمر لم يطل به كثيراً إذ سرعان ما دخل المرابطون إلى الأندلس وأطاحوا بأمراء الطوائف الواحد تلو الآخر وكانوا قد ابتدأوا بعبد الله بن بلقين فاعتقله الزعيم المرابطي يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م^(٤) وأرسله إلى المغرب وبقي إلى أن توفي هناك^(٥)، والراجح أن يوسف بن

(١) التبيين، ص ٥١.

(٢) مملكة غرناطة، ص ١٧٧.

(٣) المغرب في حلي المغرب، ١٥٤/٢.

(٤) يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ومؤسس دولتهم التي وطد أركانها، وكان له دور كبير في فتح بعض مناطق المغرب ومن ثم الأندلس إذ عبر إليها بجيش كبير بعد استنجد الأندلسيين به، وتمكن من إلحاق هزيمة كبيرة بقوات مملكة قشتالة بقيادة الفونسو السادس في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م، بعدها قام بتوحيد الأندلس تحت حكمه، وتوفي سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٦٨/٣ - ٤٧٦؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٣٦ - ١٥٦.

(٥) ابن بلقين، التبيين، ص ١٠٣ - ١٠٤؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٥٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢١٤/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

تاشفين دخل بنفسه أيضاً إلى مدينة باغة وضمها إلى دولته وأزال عنها حاكمها ابن مطروح وقد علق ابن سعيد على ذلك بالقول: إن (أيوب ابن مطروح ولما أن أخذها منه يوسف بن تاشفين أدخل رأسه تحتَه وحرك فوجدَ قد ماتَ كمداً)^(١)، وإلى نفس الرواية أشار المقرئ بالقول: (إنه لما ثار أيوب بن مطروح في المائة الخامسة في الفتنة على ملك غرناطة عبد الله بن بلقين بن حبوس وخاض بحار الفتنة حتى رماه موجها فيمن رمى على الساحل، وحصل فيما بث عليهم يوسف بن تاشفين من الحبال، وكانت له همة وأنفة عظيمة، وخُلع عن إمارته، وحصل في حبالته، أدخل رأسه تحتَه، فانتظر من حضر معه أن يتكلم أو يخرج رأسه، فلم يكن إلا قليل حتى وقع ميتاً، رحمه الله تعالى)^(٢)، وهكذا دخلت مدينة باغة في حوزة المرابطين في سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م.

وعلى الرغم من عدم ورود نصوص مباشرة عن حالة مدينة باغة في العهد المرابطي إلا أنها على ما يبدو لم تنعم بالهدوء طويلاً بعد دخولها في حوزتهم وذلك بسبب احتدام حدة الصراع مع الدويلات النصرانية التي رأت في عبور المرابطين إلى الأندلس تحدياً جديداً لنفوذها الذي أخذ يتمدد في شبة الجزيرة الأيبيرية Iberia عقب سقوط طليطلة في أيديهم سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، وقد خاض الطرفان النصراني الإسباني والمرابطي الإسلامي معارك عنيفة على أرض الأندلس الإسلامية عانت خلالها المدن الأندلسية مرارة الحروب وويلاتها.

ففي الربع الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي

(١) المغرب في حلي المغرب، ١٥٤/٢.

(٢) نضح الطيب، ٥٦٨/٣.

قام ملك أراغون Argon الفونسو الأول المحارب (٤٩٩-٥٢٩ هـ/ ١١٠٥-١١٣٤ م) بحملة مدمرة اخترق خلالها الأندلس من شمالها إلى جنوبها، إذ سار بجيشه في أول شعبان سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م من سرقسطة Saragosa إلى مدينة غرناطة في قوة مختارة من أربعة آلاف مقاتل، وساهمت معه القوات الفرنسية بقيادة (جاستون دي بيارن) وعدد من رجال الدين في مقدمتهم أسقف سرقسطة ووشقة Huesca^(١)، وقد تعاهدوا جميعاً وتحالفوا بالإنجيل على أن يفر أحد منهم حتى ينتصروا أو يموتوا^(٢)، وعلى الرغم من أن الملك الأراغوني لم يستطع تحقيق أهدافه، إلا أن هذه الحملة كشفت عن ضعف نظم الدفاع في المدن الأندلسية^(٣).

ويبدو أن مدينة باعة ظلت تابعة إلى أمراء البيت المرابطي الذين اتخذوا من مدينة غرناطة عاصمة لهم وكان آخرهم فيها هو يحيى بن علي بن غانية^(٤)، ثم دخلت غرناطة وأعمالها في حوزة الموحدين Almohades, Los

(١) هي من مدن الثغر الأعلى الأندلسي، وتقع شرقي مدينة سرقسطة إذ تبعد عنها خمسون ميلاً، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦١٢.

(٢) ابن الخطيب، التحلل الموشية، ص ٩٠؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ١/١٥٥.

(٣) السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٥٧.

(٤) ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٢٠، هو يحيى بن علي بن غانية من قبيلة مسوفة البربرية، وغانية أمه، كان رجلاً صالحاً عارفاً بالفقه والحديث، ومع هذا كان فارساً شجاعاً، أرسله الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتمكن من توطيد الأمور فيها، فعينه والياً على بلنسية ثم على قرطبة، وكانت وفاته في حدود سنة ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ١٩٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠-٤١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤/٣٠١.

سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م^(١)، إلا أن الحدث الأبرز في تاريخ المنطقة في العهد الموحي هو ما حدث بعد هزيمة المسلمين في موقعة العقاب Las. Navas de Tolosa^(٢) سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م، فقد تغير ميزان القوى في الأندلس، ولم يعد في مقدور الدولة الموحدية حماية الثغور الأندلسية من هجمات النصارى^(٣)، إذ استولى النصارى مباشرة بعد ذلك على مدينتي بسطة Baza و باغو، وهذا ما أكده الحميري بقوله: (ثم استولى الروم بعد ذلك على مدينة بسطة و باغو وما جاورهما من القرى والحصون، وقتلوا الرجال وسبوا الذرية وكانت هذه الواقعة أول وهن دخل على الموحدين، فلم يبق بعد ذلك لأهل المغرب قائمة...^(٤)).

ولكن النصارى لم يتمكنوا من الاحتفاظ بالمناطق التي دخلوها في أعقاب هزيمة المسلمين في موقعة العقاب، ويشير عنان إلى سبب ذلك قائلاً: ولكن مصاعب التمويل كانت تتفاقم، وقد سادت الفوضى بين جنود الجيش الظافر، الذين امتلأت أيديهم بالغنائم، ثم كانت الطامة بانتشار الوباء بينهم من جراء اشتداد الحرارة، وتعفن الجثث التي

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٥٤.

(٢) وهو موقع يقع بين جيان وقلعة رباح، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٦.

(٣) للمزيد من التفاصيل عن موقعة العقاب، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ٢٣٥- ٢٣٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٦- ٤١٧؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٧٠؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ٤١٩ وما بعدها.

(٤) الروض المعطار، ص ٤١٦.

غصت بها تلك الوديان، فارتد الملوك النصارى في قواتهم نحو الشمال، ودخلوا طليطلة عاصمة قشتالة Castilla في موكب ملوكي ضخمة، وأقيمت صلوات الشكر ابتهاجاً بالنصر^(١).

بعد هزيمة الموحيدين في العقاب دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال، فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن، وفي الأندلس تحفزت القوى المحلية للانفراد بالسلطة في مختلف المناطق والثورة على الموحيدين على الصورة نفسها التي جرت في أواخر عهد المرابطين، وبخصوص مدينة باجة فقد تأثرت بما جرى من منافسات بين أبناء بني عبد المؤمن، فتولى حكم الدولة الموحدية بعد وفاة الخليفة الناصر (٥٩٥-٦١٠ هـ / ١١٩٨-١٢١٣ م) ابنه المستنصر بالله^(٢) الذي حكم حتى سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م إذ توفي فجأة فبايع أهل مراکش عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٢٠-٦٢١ هـ / ١٢٢٣-١٢٢٤ م) بالخلافة فعارض بيعته ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذي كان والياً على مرسية بالأندلس فدعا أشياخ الموحيدين إلى بيعته فتم له ذلك في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م وتلقب بالعاذل (٦٢١-٦٢٤ هـ / ١٢٢٤-١٢٢٦ م) وسار إلى إشبيلية وأخذ في تدبير الأمور، فأصبح للدولة الموحدية خليفتين أحدهما في مراکش والآخر في إشبيلية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، ذلك أن ابن عمّ العادل أبو محمد عبد الله ابن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي خلع بيعة العادل

(١) دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحيدين، ٤ / ٣٢٤.

(٢) تولى الخلافة في الدولة الموحدية للمدة ٦١٠ - ٦٢٠ هـ / ١٢١٣ - ١٢٢٣ م)،

ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤١- ٢٤٣.

ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جِيَان وأبدة Ubeda وبياسة Baeza^(١)، والراجح أن مدينة باغة قد دخلت هي الأخرى في طاعة البياسي طيلة مدة حكمه، وقد أشار ابن عذاري إلى ذلك بصورة غير مباشرة بقوله: (قام عبد الله البياسي بالأندلس وكان العادل ولاء قرطبة، فخلع دعوة العادل، وخرج عن طاعة الموحدين، واستعان بالنصارى عليهم ودلهم على عورات تلك البلاد وأدخلهم قيحاظة^(٢) وغيرها من بلاد المسلمين، فتملكوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا الحریم والأولاد، ثم دخل بهم حصن باجة ولوشة وغيرها من الحصون الإسلامية...) (٣)، ويلاحظ هنا أن مدينة باغة تقع بين مدينتي قيحاظة Quesada ولوشة Loja^(٤).

فيما ذكر الحميري أن البياسي استعان بالنصارى للسيطرة على العديد من المناطق جنوب قرطبة ومنها مدينة باغة الذين تمكنوا من اقتحامها إذ قال: (كان عبد الله صاحب بياسة من بني عبد المؤمن وهو المعروف بالبياسي استدعى عدو الدين لما نزل عليه العادل بياسة، فحاصره فأقلع عنه دون شيء، فلما لم يجد في المسلمين كبير إعانة استدعى النصارى فوصلوا إليه، فسلم إلى الفنش بياسة وجازى أهلها شر الجزاء، بعد ما آووه ونصروه، فأخرجهم منها وسار مع الفنش ليأخذ معاقل الإسلام باسمه، فدخل

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١.

(٢) قيحاظة مدينة أندلسية من أعمال مدينة جِيَان، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨.

(٣) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١.

(٤) ينظر الخارطة.

قيحاطة من عمل جيان بالسيف، فقتل العدو فيها خلقاً كثيراً وأسر آخرين، وكان حديتها شنيعاً تنفر منه القلوب والأسباع، ثم نهض أيضاً ومعه العدو إلى لوشة من عمل غرناطة، فاعتصم أهلها بسورها الحصين وقاتلوا أشد القتال، وأسمعوه ما أهاج غيظه، فلما تمكن منها سلط عليهم عدوهم في الدين ففتكوا بهم أشد الفتك، ثم ساروا إلى بيغو هذه فأطال مع الفئس حصارها إلى أن دخل البلد بعد شدة وصالحه أهل القلعة، وما زال أمره يقوى إلى أن احتوى على قرطبة ومالقة وكثير من معقل هاتين القاعدتين وبلادهما^(١).

ثم قرر البياسي بعد أن فرض سيطرته على معظم مناطق الأندلس الوسطى، أن يستولي على إشبيلية ويقضي على منافسه نهائياً، فخرج بقواته صوبها سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م فاستعد الجيش الموحدى للقائه ونشبت معركة هُزم فيها البياسي، ومزق جيشه، وارتد إلى قرطبة الذين ثاروا عليه وقتلوه في نفس السنة أعلاه^(٢).

ولكن اضطراب الأمور في الدولة الموحدية أدى إلى قيام ثورات عديدة في الأندلس ولاسيما في وسط وشرق الأندلس، وبقدر ما يتعلق الأمر بمدينة باغة فإن أشهرها تلك التي قادها محمد بن يوسف بن هود الجذامي^(٣)

(١) الروض المعطار، ص ١٢٢.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٤.

(٣) وهو من سلالة بني هود حكام سرقسطة ملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية بعد انقراض دولة الموحدين وأعلن الخطبة العباسية، وكانت وفاته سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م، ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٨- ٢٨٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٢٤٦- ٢٥٠؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٤- ٢٦٦.

ومحمد بن يوسف بن الأحمر^(١)، وكان الأول قد ثار على الموحدين سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧ م في شرق الأندلس وسرعان ما تمكن من السيطرة على معظم مناطق الأندلس في الوسط والشرق وحاول مدّ نفوذه إلى الغرب الأندلسي وغدا أكبر الثوار الذي سيوحد الأندلس على يديه، وقد علق ابن الخطيب على ذلك بقوله: (وصرح له تملك الأندلس، وأطاعته سبته، وملك رباط الفتح)^(٢)، كما ذكر ابن أبي زرع في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م ملك الأندلس ابن هود ولم يبق للموحدين فيها أمرٌ ولا نهي^(٣)، وذكر عنان أن دعوته شملت أيضاً أرجونة Arjona وجيان وبسطة ووداي آش^(٤)، وعلى هذا فإن مدينة باغة كانت ضمن نفوذه.

إلا أن الذي خطف من ابن هود آماله هو ظهور الثائر الآخر من بني نصر وهو محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالغالب بالله الذي يرجع نسب عائلته كسادة على حصن أرجونة^(٥) الواقعة على مقربة من نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir، وكان لبني نصر في تلك المنطقة

(١) محمد بن يوسف بن الأحمر النصرى من سلالة الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري ظهر في أواخر الدولة الموحدية في الأندلس وخضعت له العديد من المعاقل الجنوبية ومنها غرناطة، وأخذ سلطانه يتسع بعد وفاة ابن هود، وتمكن من تكوين مملكة له وراثية استمرت حتى نهاية الإسلام في الأندلس، وكانت وفاته سنة ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢ م، ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٢ وما بعدها؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٧-٢٦٩.

(٢) أعمال الأعلام، ٢٤٨/٢؛ ينظر أيضاً: الإحاطة، ٧٦/٢.

(٣) الأنيس المطرب، ص ٢٧٥.

(٤) دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤١٠.

(٥) بلد ناحية جيان بالأندلس، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥.

عصبية ووجاهة، فلما اضطرت الأمور في الدولة الموحدية وظهر ابن هود في شرق الأندلس، لاحت لمحمد بن يوسف بن الأحمر فرصة الظهور، فدعا لنفسه وبويع أولاً في أرجونة موطن أسرته وأنصاره وفي المناطق القريبة منها وذلك سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م^(١).

ومن أرجونة أخذ ابن الأحمر يوسع نفوذه، ففي سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م تمكن من الدخول إلى مدينة جيان وقرطبة وبعض مناطق غرب الأندلس^(٢) ثم أطاعته أهالي مدينتي بسطة ووادي آش^(٣)، وهكذا قوى أمره وأخذ يتطلع إلى الاستيلاء على القواعد الجنوبية، وأراد أن يستظل بلواء سلطة إسلامية مرموقة، فدعا أولاً للأمير أبي زكريا الحفصي^(٤) صاحب إفريقية، وتلقى منه بعض العون، ولكنه عاد فخطب للخليفة العباسي المستنصر بالله^(٥).

ويبدو أن ابن هود شعر بخطورة هذه الحركة التي يضطلع بها منافسه الجديد، فأخذ يتأهب لمواجهة والقضاء على حركته، وأن ابن الأحمر

(١) البيان المغرب، قسم الموحديين، ص ٢٩٦.

(٢) ابن أبي زرع، الأندلس المطرب، ص ٢٧٥- ٢٧٦؛ ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٣١؛ ابن خلدون، العبر، ٣٩٥/٦- ٣٩٦.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤١٥.

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي بويع له بالخلافة في الدولة الحفصية سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م وتوفي سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م، ينظر: ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص ١٢٥- ١٢٧.

(٥) تولى الخليفة المستنصر بالله الدولة العباسية للمدة من ٦٢٣ - ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٢ م، ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٤ - ٥٤٨.

(٦) ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٣١؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤٣١- ٤٣٢.

كان مستعداً لمواجهة ابن هود لكي يكون هو على رياسة الأندلس، وقد تأهب الطرفان للمواجهة العسكرية، وحشد كل منهما ما استطاع من قواته، وحدث الصدام على مقربة من إشبيلية، وانتهت المعركة بهزيمة ابن هود وانتصار ابن الأحمر سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م^(١).

إلا أن الأمور قد تغيرت فيما بعد، إذ أدرك الطرفان خطر الحرب فيما بينهما، وأن المستفيد الوحيد من ذلك هم النصارى المتمثلين بمملكة قشتالة، لذا عقدا الصلح بينهما في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م، وكان من نتائج هذا الصلح أن يعترف ابن الأحمر بطاعة ابن هود مقابل أن يقره الأخير على جيان وأرجونة وبركونة Porcuna وأحوازها^(٢)، ولكن سقوط قرطبة بيد النصارى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م^(٣)، دفعت ابن الأحمر إلى الزحف نحو غرناطة ودخلها سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م واتخذها قاعدة لملكه^(٤)، وبذلك غدت المنطقة من جيان إلى غرناطة تحت نفوذه وبضمنها وبضمنها مدينة باغة، وقد حدد عنان سلطان مملكة بني الأحمر عند قيامها بقوله: كانت مملكة غرناطة عند قيامها في أواسط القرن السابع الهجري تشمل القسم الجنوبي من الأندلس القديمة، وتمتد فيها وراء نهر

(١) الأنييس المطرب، ص ٢٧٦.

(٢) ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ٢٧٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٦/٤.

(٣) ينظر عن سقوط قرطبة: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١ ؛ ابن أبي زرع، الأنييس المطرب، ص ٢٦٧ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٦ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٨/٤ - ٤٢٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٢ - ٣٤٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣٠/٤.

الوادي الكبير إلى الجنوب، حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق، ويحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة وإشبيلية، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر المتوسط الممتد منها إلى الجنوب، ومن الغرب ولاية قادس Cadiz^(١).

إلا أن بني الأحمر لم يتمكنوا الاحتفاظ بجميع مناطق نفوذهم الأولى، ففي سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م في عهد سلطانها محمد بن يوسف بن الأحمر (٦٣٥-٦٧١ هـ / ١٢٣٨-١٢٧٢ م) تنازل ابن الأحمر لملك قشتالة عن عدد كبير من الحصون والمدن الأندلسية ذكر ابن عذاري أن عددها بلغ مائة وخمسة قال: (قليل إن أكثرها كان في شرق الأندلس، وفي غربها كان الأقل)^(٢)، فيما ذكر ابن أبي زرع أن ابن الأحمر أعطى ملك قشتالة (أربعين مسوراً من بلاد المسلمين منها شريش والمدينة والقلعة، وقيل إن جملة ما أعطاه ابن الأحمر لأذفونش من بلاد المسلمين من المدن والحصون المسورة مئة مسور وخمسة مسورات من بلاد شرق الأندلس)^(٣)، وعلى إثرها رثا الفقيه صالح بن شريف الرندي^(٤) الأندلس بقصيدته المشهورة التي افتتحها بقوله:

(١) دولة الإسلام في الأندلس، ٥٥/٥.

(٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٦٣.

(٣) الذخيرة السنوية، ص ١١٢.

(٤) هو أبو الطيب صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، كان فقيهاً حافظاً متفنناً في النثر والنظم، وله مرثية الأندلس، توي في سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٧٥/٣ - ٢٨٧.

لكل شيء إذا تم نقصان
فلا يغربطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد
ولا يدوم على حال لها شان
يُمزق الدهر حتماً كل سابعة
إذا نبت مشرفيات وخرصان^(١)

وعلى الرغم من عدم إشارة المصادر إلى وقت سقوط المدينة بيد النصارى إلا أنه من خلال تتبع الأحداث التي تلت قيام دولة بني الأحمر في غرناطة أن مدينة باغة ومنطقتها بقيت ساحة صراع بين الجانبين مدة من الزمن، وتناوبها الجانبان بالغزو والاحتلال، ففي سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م ذكر ابن الخطيب أن قوات بني الأحمر في عهد أبي الحجاج يوسف بن الأحمر (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ / ١٣٣٢ - ١٣٥٤ م) هاجمت مدينة باغة وتمكنت من فتحها، وقد علق على ذلك قائلاً: (غزا في السادس والعشرين من محرم عام ثلاثة وثلاثين وسبعمئة بجيش مدينة باغة، وهي ما هي من الشّهرة، وكرم البقعة، فأخذ بمخنتها، وشدّ حصارها، وعاق الصربخ عنها، فتملكها عنوة، وعمّرها بالحماة، وربّتها بالمرابطة، فكان الفتح فيها عظيماً)^(٢)، ويفهم من ذلك أن النصارى قبل هذا التاريخ

(١) ينظر القصيدة كاملة: ابن أبي زرع، الذخيرة السننية، ص ١١٢ - ١١٤ ؛
المقري، أزهار الرياض، ٤٧/١ - ٥٠ ؛ نضج الطيب، ٤٨٧/٤ - ٤٨٨ .
(٢) الإحاطة، ٢٩١/١ .

كانوا قد احتلوا المدينة فأعاد بنو الأحمر فتحها وشحنوها بالقاتلة للدفاع عنها.

إلا أن القوات القشتالية عاودت بعد ثمان سنوات (أي في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠ م) وهاجمت المدينة وتمكنت من الاستيلاء على مدينة باغة^(١)، ثم إن قوات بني الأحمر تمكنت بعد ذلك من إعادة فتحها، ففي عهد الغني بالله محمد الخامس (٧٦٣-٧٩٣ هـ / ١٣٦١-١٣٩٠ م) هاجمت القوات الإسلامية مدينة باغة في سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م وتمكنت من دخولها، وقد علق ابن الخطيب على ذلك بالقول: (... وانصرفوا إلى حصن باغة، من مشاهد تلك الحفرة، فناشبهه القتال، وأذاقوه الوبال، وفوقوا إليه النبال، ففتح الله فتحاً هيناً، لم تفت فيه للمسلمين نفس، ولا تطرق لنصر التيسير لبس، فقابلنا بها لشكر هذه النعم المتواليّة، والمنن المتقدّمة والتالية، وأعدنا الأعلام إلى مراكزها المشرفة المراقب، والطبول إلى قرعها عملاً من الإشارة بالواجب)^(٢).

وبعد سنتين زار ابن الخطيب مدينة باغة (أي في سنة ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م) بصحبة الغني بالله وترك لنا وصفاً مزيّناً عن حالتها إذ قال: (وعرّجنا في هذا الإياب العزيز على مدينة باغة الحجرة، من بنات تلك الأم البائسة، وفروع تلك الشجرة المجتثة، فصارت سحيراً للسيل، وملتهم الويل، ومنتهب الرجل والخيل، وألفينا قاطنها قد ولى هرباً، واتخذ الليل جملًا، وبيوتها مشحونة أثاثًا وأقوتًا، ونعمًا أشتاتًا، فأخذها النهب، وفشّا في عيصها الأشب العيث، وتعلقت النار بزياتينها لمكان

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٤/٢٩١.

(٢) الإحاطة، ٢/٤٤.

العلاقة ، وأغرّت بها لأجل السلبط ألسنة السلاطة ، فقلب الدمار أعيانها رمادا ، وألبسها الحريق للشكل حدادا^(١).

من هذا النص أعلاه يمكن القول إن المدينة هجرها أهلها هرباً على غير نظام إذ لم يستطيعوا أن يحملوا معهم أمتعتهم، وتعرضت للنهب، وأحرقت بساتينها، وهذا الوصف يوحي بأن معارك طاحنة شهدتها المدينة بين الجانبين تمكن فيها المسلمون من دخولها بعد أن أضحت خاوية على عروشها.

وفي عهد محمد السابع بن أبي الحجاج يوسف الثاني النصري (٧٩٧-٨١١ هـ / ١٣٩٤-١٤٠٨ م) قامت القوات القشتالية في سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م بمهاجمة عدد من حصون سلطنة غرناطة الشالية وبضمنها مدينة باغة وحصنها وتمكنوا من الاستيلاء عليها^(٢)، وبذلك سقطت المدينة بشكل نهائي ولم يستطع المسلمون إنجادها بسبب ما كانت تعانيه مملكة غرناطة من ضعف وانقسام.

ثالثاً: الحركة الفكرية في مدينة باغة

مكث المسلمون في مدينة باغة للمدة بين (٩٢-٨٠٩ هـ / ٧١٠-١٤٠٦ م) أي حوالي سبعة قرون ساهموا خلالها في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس في مختلف مجالات الحياة، وسبق الحديث عن دورهم في الحياة الاقتصادية والإدارية والسياسية، وبقي التطرق إلى إسهاماتهم في الحياة الفكرية، فقد نبغ العديد منهم في مجالات علم القرآن والحديث والفقهاء

(١) ريحانة الكتاب، ١/١٦٩.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٤١/٥ ؛ خطاب، قادة فتح الأندلس، ٢/١٨٤.

واللغة والأدب وبعض العلوم العقلية نذكر منهم:

- أحمد بن خالد التغلبي من أهل باغة ثم سكن جيان، اشتهر بعلم الحديث وروايته، وتوفي سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م^(١).

- أحمد بن داود بن يوسف الجذامي من أهل باغة يكنى أبا جعفر، كان أديباً ونحويّاً ولغويّاً ومشاركاً في علم الطب، شرح كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة، كما له شرح لمقامات الحريري، وتوفي سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م^(٢).

- أحمد بن علي بن محمد الأنصاري الأوسي من أهل قرطبة سكن باغة، اشتهر بالرواية في الحديث وله ميل إلى الأدب، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م^(٣).

- أحمد بن محمد بن هذيل الأنصاري من أهل بلنسية Valencia ثم سكن باغة وتولى القضاء بها أيام المرابطين، اشتهر بالأدب لاسيما الشعر والكتابة، وتوفي سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م^(٤).

- أحمد المكادي المكنى أبا العباس من سكان مدينة باغة، اشتهر بالأدب، وله شعر، ومن شعره:

شَرِينًا وَيَرِدُ اللَّيْلُ فَوْفَهُ سَنَا

من الصُّبْحِ وَالْأَطْيَارُ تُنْشِدُ فِي الْقَضْبِ

(١) ابن الأبار، التكملة، ١١/١.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٨٣/١؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ٣٠١/١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٣١/٤٢؛ الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ص ٧٣.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٨٨/١؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ٥٠٣/١.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ٦٢/١؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ٧٠١/١.

وَقَدْ أُبْرِزَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ مَطَارِفًا

مِنَ الْوَشْيِ أَلْقَتْهَا عَلَى الْأَفْقِ الرَّحْبِ^(١)

- أضحى بن عبد الرحمن بن علي الهمداني المكنى أبا الحسن من أهل
غرناطة سكن باغة وتولى القضاء بها، كان فقيهاً أديباً شاعراً، توفي سنة
٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م^(٣).

- الحسن بن محمد بن عبد الله بن طوق التغلبي اشتهر في الرواية
بعلم الحديث من أهل باغة وسكن جيان، قال ابن بشكوال: كان رجلاً
صالحاً رابط على تحوم مدينة طليطلة مجاهداً وتوفي سنة ٣٩٣ هـ
/ ١٠٠٢ م^(٣).

- داود بن يزيد الغرناطي السعدي المكنى أبا سليمان من أهل قلعة
يحبس سكن باغة، كان من أشهر نحاة الأندلس في عصره، كما كان عالماً
بالقراءات والحديث معروفاً بالزهد، توفي سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م^(٤).

- سعيد اليحصبي القطاع والد الوزير عيسى بن سعيد القطاع^(٥)
من كورة باغة ثم انتقل إلى قرطبة وكان معلماً^(٦).

(١) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٤٥/٢.

(٢) السيوطي، بغية الوعاة، ٤٥٩/١.

(٣) الصلة، ص ١٣٤.

(٤) السيوطي، بغية الوعاة، ٥٦٣/١.

(٥) عيسى بن سعيد القطاع من خاصة محمد بن أبي عامر وكتب له ثم فوض
إليه ابنه عبد الملك المظفر الأمور، ثم وقع بينه وبين الفتيان الصقالبة
منافسة ووشوا به إلى المظفر فقتله سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م، ينظر: ابن بسام،
الذخيرة، ١٢٣/١ - ١٢٨.

(٦) ابن الأبار، التكملة، ١١٠/٤.

- عبد الرحمن بن أحمد بن أبي المطرف بن عبد الرحمن المعافري يكنى أبا المطرف من أهل باغة ثم انتقل إلى قرطبة وتولى قضاء الجماعة بها سنة ٤٠٢ هـ/ ١٠١١ م ثم انتقل على القضاء لعدة كور من الأندلس، وقال عنه ابن بشكوال: (كان عدلاً في أحكامه، سمحاً في أخلاقه، جيد المعاشرة لإخوانه، باراً بالناس، محبوباً منهم، مسعفاً لهم في حوائجهم، طالباً للسلامة من جميعهم، قنوعاً قليل الرغبة، واسع الكف بالعطية والصدقة، شديد الاحتمال للأذى)^(١).

- عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن المذحجي يكنى أبا الحسين، من أهل باغة ثم انتقل إلى قرطبة، اشتهر بعلم القراءات والآداب والطب، وصفه ابن الأبار قائلاً: (وَكَانَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ كَثِيرَ التَّلَاوَةِ لَهُ أَدِيًّا نَاطِقًا نَائِرًا مَاهِرًا فِي الطَّبِّ وَعَلَيْهِ عَوْلٌ وَلَهُ قَعْدَةٌ حَسَنُ الضَّبْطِ بَارِعُ الْخَطِّ) وتوفي سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٥ م^(٢).

- علي بن جامع الأوسي المكنى أبا بحر من أهل مالقة وسكن باغة، اشتهر بالنحو والأدب فأكرمه أهل باغة ومكث فيهم ثلاثين سنة يقرئ العلوم أعيانهم حتى ألحق بالشيخ شبانهم^(٣).

- علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي يكنى أبا الحسن من

(١) الصلاة، ص ٣٠٢؛ ينظر أيضاً: ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ١٥٧/١؛ ابن الفوطي، معجم الآداب في معجم الألقاب، ٣٠٦/٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٧٤/٤.

(٢) التكملة، ٣١٥/٢؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ١١٤/٤٤؛ السيوطي، بضية النوعة، ١٢٩/٢.

(٣) ابن عسكروابن خميس، أعلام مالقة، ص ٣١٧؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ١٦٩/٣.

أهل باغة اشتهر بالرواية في الحديث، وصفه ابن بشكوال بالقول: (وكان من أهل العلم والحفظ للرأي والفهم مع الفضل والحلم والصلاح والخير والإقبال على نشر العلم وتعليمه، كثير التلاوة للقرآن، رطب اللسان، يذكر الله تعالى، ديناً، متواضعاً، ليناً، متصوناً، وقوراً دالاً على الخير، كثير الحض عليه داعياً إليه)، وتوفي سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م^(١).

- محمد بن إبراهيم بن محمد بن سعيد الازدي المقرئ يعرف بابن الصناع من أهل بلنسية سكن باغة مدة وتولى قضاءها، كان أحد المتقدمين في الإقراء وأحكام التجويد، وله مشاركة في اللغة والأدب والشعر والأخبار والفقه، توفي في باغة سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م^(٢).

- محمد بن محمد بن إبراهيم الأمي من أهل حصن نوالش من عمل باغة يكنى أبا القاسم اشتهر بعلوم الحديث والقرآن، ولي الخطبة بعمله^(٣).

- يحيى بن مطروح المكنى أبا زكريا، وهو من بيوتات العرب في باغة ثم انتقل إلى مالقة، وكان شاعراً، ومن شعره:

يَا حُسْنَهُ كَاتِباً قَدْ خَطَّ عَارِضُهُ

فِي خَدِّهِ حَاكِيّاً مَا خَطَّ بِالْقَلَمِ

لَمَّا الْعَدُولُ عَلَيْهِ حِينَ أَبْصَرَهُ

فَقُلْتُ دَعْنِي فَرَيْنُ الْبُرْدِ بِالْعَلَمِ

وَأَنْظُرْ لِي عَجَبٍ مِمَّا تَلُومُ بِهِ

بَدْرًا لَهُ هَالَةٌ قَدَّتْ مِنَ الظَّلَمِ

(١) الصلاة، ص ٣٩٩.

(٢) ابن الابار، التكملة، ١/٣٣٤؛ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ٤/١١٠.

(٣) ابن الابار، التكملة، ٢/١٢١.

قُولُوا عَنِ السَّحْرِ مَا شِئْتُمْ وَلَنَا عَجَبٌ

مِنَ عَنَبِ الشَّحْرِ أَوْ مِن دَنْ مُبْتَسِمٍ^(١)

ومن شعره وقد عُزل والٍ فنزل المطر على إثره، وكان الوالي غير

مرضي فقال:

ورب وال سـررنا عزله فبعضنا هناه البعض

قد واصلتنا السحب من بعده ولد في أجفاننا الغمض

لو لم يكن من نجس شخصه ما ظهرت من بعده الأرض^(٢)

(١) ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ١٥٥/٢.

(٢) المقري، نضح الطيب، ١٥٣/٤.

الخاتمة

تقع مدينة باغة ضمن كورة البيرة وبعد خرابها وبناء غرناطة أصبحت مدينة باغة من كبار توابعها، وُصفت المدينة بحسن طبيعتها ووفرة المياه بها ووفرة انتاجها من الزيتون والكروم والزعفران، فتحتها المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م واستوطنتها العديد من القبائل العربية. تقلبت أحوالها الإدارية والسياسية فخضعت لابن حفصون مدة، وتمرد فيها أحد المولدين وهو سعيد بن مستنة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ثم عادت المدينة إلى حاضرة الدولة طيلة عهد الخلافة، وفي عهد الطوائف كانت ضمن أملاك بني مناد الصنهاجيين ثم خضعت المرابطين والموحدين، وفي عهد بني الأحمر تحولت إلى ثغر حيث توالى عليها الهجمات قشتالة النصرانية حتى سقوطها النهائي سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م. وطيلة المدة التي حكمها المسلمون التي تزيد على سبعة قرون أسهم أهلها في الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية في الأندلس، ونبغ بها العديد من العلماء في مجالات المعرفة المختلفة.

كورة قبرة Cabra الأندلسية

٩٢ - في حدود ٦٣٨ هـ / ٧١٠ - ١٢٤٠ م

أولاً: الجغرافية التاريخية لكورة قبرة Cabra

قبرة مدينة أندلسية قديمة، وهذه اللفظة تدل على أنها كانت موجودة قبل الإسلام^(١)، وقد أشار إلى ذلك مؤلف مجهول بقوله: (ومدينة قبرة، قبلة من قرطبة، وهي مدينة كبيرة أزلية، من بنيان الأول)^(٢)، ورسّمها قبرة بفتح القاف وسكون الموحدة وفتح الراء تليها هاء^(٣)، وقال ياقوت: هي (بلفظ تأنيث القبر، أظنها أعجمية رومية)^(٤).

قسم البكري الأندلس إلى ستة أقسام كبرى أسماها أجزاء، وفي كل قسم يضم عدد من المدن وجعل قبرة في الجزء السادس وقاعدته إشبيلية^(٥) وهو يضم مدينة قرطبة Cordoba^(٦) والمدن المحصور بينهما^(٧)،

- (١) يسمي الجغرافيون العرب المدينة التي أنشأها المسلمون بالحدثة، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام بالقديمة أو الأزلية.
- (٢) تاريخ الأندلس، ص ٩٠.
- (٣) القيسي الدمشقي، توضيح المشتبه، ١٧٨/٧؛ المقرئ، نضح الطيب، ٢/٢١٧.
- (٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١٢.
- (٥) مدينة أندلسية قريبة من البحر بينها وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٣١-٣٢.
- (٦) وهي مدينة عظيمة في وسط بلاد الأندلس كانت عاصمة الدولة الأموية وسقطت بيد التنصاري سنة ٦٣٣ هـ/١٢٣٥ م، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١٨-٢٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦-٤٥٩.
- (٧) المسالك والممالك، ٢/٨٩٣.

فيما قسم الإدريسي الأندلس إلى ثلاثة وعشرين إقليماً وجعل قبرة في الإقليم الرابع ويضمُّ كما قال: (من المدن قرطبة والزهراء واستجة وبيانة وقبرة واليشانة وبه جملة حصون كبار)^(١)، والقاسم المشترك بين التقسيمين هو أنهما حددا قبرة ضمن المجموعة المحيطة بمدينة قرطبة فهي تقع إلى الجنوب باتجاه القبلة منها وبينهما ثلاثون ميلاً^(٢)، فيما حدد الإدريسي المسافة بينها وبين قرطبة أربعين ميلاً^(٣)، وعلى هذا فهي من متوسطة الأندلس.

كما تحدثت المصادر إلى مكانها بالنسبة إلى ما يجاورها من المدن فأشار الإدريسي إلى أن بينها وبين حصن القبداق^(٤) مرحلة^(٥) خفيفة وأنها متصلة متصلة بأرض قرطبة جنوبها قبلة كما تتصل في شريقها بكورة البيرة Elvia^(٦)، ويتصل بها من ناحية الجنوب والغرب مدينة إلسانة Lucena^(٧) وهي تلاصق حصن بلاي Poley من حصون قبرة

(١) نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢.

(٢) الرشاطي، الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ١٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٣؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١٢؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥.

(٣) نزهة المشتاق، ٥٧١/٢.

(٤) وهو حصن من كورة البيرة إلى الغرب على أربعين ميلاً منها، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٨٩.

(٥) المرحلة هي مقدار ما يقطعه المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة وتقدر ٢٤ ميلاً، ينظر: محمد، المكايل والموازين الشرعية، ص ٥٦.

(٦) نزهة المشتاق، ٥٧١/٢؛ ينظر أيضاً: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٤٠.

(٧) ذكر الإدريسي أنها تسمى مدينة اليهود لأنهم يسكنونها وبها ريش يسكنه

(١)، ويمر بها الطريق جيان بجزيرة طريف Torife^(١) وهو الطريق الذي سلكه الرحالة ابن جبير سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م، فذكر خرج من جيان Jaen ثم إلى حصن القبذاق ثم إلى حصن قبرة ثم استجة Ecija ثم إلى حصن أشونة Osuna ومنها إلى جزيرة طريف^(٢).

ذهبت أغلب المصادر إلى القول بأن قبرة هي كورة^(٣)، والكورة في الأندلس أرض واسعة تضم أكثر من مدينة^(٤) وقد تكون لها أعمال، وهو ما ينطبق على قبرة، فذكر البكري أن قبرة لها أعمال^(٥)، فيما قال مؤلف مجهول: إن قبرة (عليها من القرى ستائة قرية ونيف وثلاثون قرية، وسبعون حصناً، وثلاثمائة برج)^(٦)، وهذا النص له أهميته بخصوص قبرة وملحقاتها لتوسطها منطقة مهمة من بلاد الأندلس كونها الممر الرئيس

المسلمون بينها وبين قرطبة أربعون ميلاً، نزهة المشتاق، ٥٧١/٢ - ٥٧٢.

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧١/٢ - ٥٧٢.

(٢) وهي جزيرة على ساحل البحر من بر الأندلس ويقابلها في بر المغرب مرسى القصر لمصمودة وبينهما اثني عشر ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٢٧/٢، ٥٣٩.

(٣) رحلة ابن جبير، ص ٨ - ٩.

(٤) ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٨٧؛ ابن حيان، المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٢٥٣، ٢٨٥، ٣٧٧، ٤٦٢؛ الرشاطي، الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٤٩؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٣؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١٢؛ ابن الأبار، الحلة السرياء، ٣٦٥/٢؛ المقرئ، نفع الطيب، ٢٠٤/١.

(٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٧٧.

(٦) المسالك والممالك، ٨٩٣/٢.

(٧) تاريخ الأندلس، ص ٩٠.

إلى العاصمة قرطبة إلا أن المصادر لم تذكر سوى عدد قليل منها، من أهمها:

١- إختبانة قرية من عمل كورة قبرة وكانت قريبة من قرطبة، فذكر ابن بشكوال أن أحد العلماء كان يسكنها وكان يأتي قرطبة ويحدث بها ثم يرجع كما كان عدداً من تلاميذه يأتونه ويسمعون منه^(١).

٢- أرنيش، وهو جبل من كورة قبرة اتخذته قوات الإمارة قاعدة لمراقبة تحركات ابن حفصون تجاه قرطبة^(٢).

٣- أروس (ايروس، أروش^(٣)) Aroche وهو جبل من كورة قبرة نزله أحمد بن محمد بن أبي عبيدة قائد الأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م) سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م أثناء قتاله ابن حفصون^(٤)، ويبدو أن الجبل كان حصيناً ما جعل جيش الإمارة في قرطبة تتحصن فيه.

٤- بُلاي وورد بلفظ بُلي وهو من حصون مدينة قبرة^(٥) المطلة على قرطبة^(٦) بينه وبين قرطبة عشرون ميلاً^(٧)، جرت فيه وقائع بين قوات

(١) الصلة، ص ١٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٦/٢.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٢٣٦/١، ١٤٤/٤ وقال: من عمل قرطبة.

(٤) ابن حيان، المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١٦٧ - ١٦٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٦/٢ وأسماه جبل ايرش ويبدو أن ذلك كان تصحيحاً.

(٥) ابن حيان، المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١١٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٣/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٧/٤.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٩/٤.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٢/٢.

الإمارة وابن حفصون - كما سنرى - وقد وصفه ابن حيان بأنه غاية التحصين^(١).

٥- بلدة، قال الرشاطي: إنها من عمل قبرة في الأندلس ٢، فيما شكك ياقوت في ذلك قائلاً: (بلدة مدينة بالأندلس من أعمال رية، وقيل: من أعمال قبرة)^(٢).

٦- بلكرمانية، ذكرها ياقوت وقال: (إقليم من كورة قبرة بالأندلس)^(٣)، والإقليم في الأندلس يختلف عن مدلوله في المشرق، فهو في الأندلس بلدة تتبعها أرض وفي المشرق أرض تتبعها بلاد^(٤)، قال ياقوت: (ولأهل الأندلس خاصة، فإنهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة إقليمياً، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا خواصهم)^(٥) وعليه فإن بلكرمانية ربما هي قرية كبيرة تابعة لقبرة.

٧- مدينة بيانة Bayanne: هي قصبة كورة قبرة وقاعدتها، وقد احتلت بيانة هذه المكانة في كورة قبرة بسبب حصانتها ومنعتها، لأن القاعدة أو القصبية يشترط فيها الحصانة^(٦)، وقد بنى فيها الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨ هـ / ٨٢١-٨٥٢ م) مسجد كبير^(٧)، ووصف

(١) المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص ١١٤.

(٢) الأندلس في اقتباس الأنوار، ص ٣٦.

(٣) الأندلس من معجم البلدان، ص ٨١.

(٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ٨٥.

(٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٩٢ - ٥٩٣.

(٦) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٨.

(٧) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٦٠٠.

(٨) الحميري، الروض المعطار، ص ١١٩.

ووصف الإدريسي بيانة بقوله: (وبيانة حصن كبير في أعلى كدية تراب)^(١)، وأشار ابن غالب في حديثه عن كورة قبرة إلى أن (لها مدينة بيانة، عظيمة حصينة)^(٢)، وقال ياقوت عنها: (قصة كورة قبرة، وهي كبيرة حصينة على ربوة، يكتنفها أشجار وأنهار، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً)^(٣)، وذكرها الحميري بقوله: (هي من مدن قبرة وعلى يمين الطريق الذهاب من قرطبة وشرقي قبرة، بينها عشرة أميال، وهي على ربوة من الأرض طيبة التربة، كثيرة المياه السائحة، ولها حصن منيع)^(٤)، وهي من المدن القديمة التي كانت موجودة قبل الإسلام، وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك بقوله: (وهي أزلية)^(٥).

٨- ترجاله Trujillo، أشار ابن حزم أن أحد رجالات بني أمية من ذرية الأمير الحكم بن هشام اسمه سليمان العباس بن سعيد بن الحكم^(٦) كان له ضيعة بترجاله من قبرة^(٧)، ووردت في بعض المصادر أن ترجاله (وتلفظ أيضاً ترجيلة) هي من أعمال ماردة Merida^(٨) من غرب

(١) نزهة المشتاق، ٥٧١/٢.

(٢) فرحة الأنفس، ص ١٣.

(٣) الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٥.

(٤) الروض المعطار، ص ١١٩.

(٥) تاريخ الأندلس، ص ٩٠.

(٦) قال عنه ابن حزم: (كان زاهداً، متبتلاً، صوفياً، ملازماً ضيعته بترجاله من من قبرة)، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٧.

(٧) جمهرة أنساب العرب، ص ٩٧.

(٨) ماردة من كور غرب الأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة خمسة أيام، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١.

الأندلس^(١)، ولا يستبعد أن يكون هناك أكثر من موضع بهذا الاسم.
٩- الجالية، ذكرها ابن عذاري من قرى قبرة عند حديثه عن اجتياح
ابن حفصون للمنطقة^(٢).

١٠- شبية وهو أحد جبال كورة قبرة، قال عنه ياقوت: (وهو جبل
منيف ينبت ضروب الشار)^(٣)، وذكر ابن عذاري أن جبل شبية تغلب
عليه ابن حفصون سنة ٢٧٣ هـ/ ٨٨٦ م^(٤)، ووصفه الحميري بالقول:
(وهذا الجبل شامخ ينبت ضروب النواوير وأصناف الأزاهر)^(٥).

١١- طِرْنِيَانَة، قال ياقوت: (بالكسر ثم السكون ثم نون مكسورة
أيضا، وياء مثناة من تحت، وألف، ونون: بلدة بالأندلس من كورة
قبرة)^(٦).

١٢- مدينة قبرة، وهي مدينة سميت الكورة باسمها تبعد عن قرطبة
ثلاثون ميلاً وذكر ياقوت أنها ناحية من نواحي قبرة يقال لها إقليم
المدينة^(٧)، وأشار الحميري إلى أنه اشتهرت بمسجدها الجامع الذي يجوي
يجوي على ثلاث بلاطات، وأضاف أنه على مقربة منها المغارة المعروفة
بالعروب، قال عنها: (لا يدرك قعرها ولا يُسبر غورها، وهي باب من

(١) ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٠/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان،

ص ١٠٣؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٣٧٧/١.

(٢) البيان المغرب، ١١٥/٢.

(٣) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧٨-١٧٩.

(٤) البيان المغرب، ١١٤/٢.

(٥) الروض المعطار، ص ٤٥٣ ولفظه شيته، ولعل في أحدهما تصحيف.

(٦) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٨٩.

(٧) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥٩.

أبواب الرياح، ويعرفونها ببئر الريح وكان بعض خلفاء بني أمية قد أمر عامل قبرة بردم تلك المغارة وأن يحشد لذلك أهل الناحية ويشرف عليه بنفسه، ففعل واعتمل الناس في ذلك مدة، وكان مما ردموها به التبن والحشيش إلى أن استوى الردم وجلس العامل على فم الغار ليخاطب الأمير بذلك، فرجف المكان وانهاهال الردم، ونجا العامل ولم يكذب ينجو، وبقيت المغارة لا يدرك لها قعر كما كانت قبل الردم، ولا يعلم أين ذهب جميع ما قُذِف فيها، إلا أنه رُئي من ذلك التبن في بعض ينابيع المياه بذلك الجبل^(١).

١٣ - القلعة، ذكره ياقوت بالقول: إنه أحد أقاليم كورة قبرة^(٢)، وكما مرّ بنا فإن الإقليم في الأندلس يطلق على القرية الكبيرة الجامعة، فهي حسب هذا المفهوم من قرى الكورة.

١٤ - قُومَس، إقليم بالأندلس^(٣)، وقومس هو لقب الأشراف والسادة من الإفرنج^(٤)، فلعل تلك القرية كبيرة كان يسكنها النصارى وأشرفهم، ومما يرجح ذلك قول الزبيدي: (سُمِّيَ بِاسْمِ هَذَا الْبَلَدِ، لِنُزُولِ أَهْلِهِ بِهِ)^(٥).

١٥ - مَرَبَلَّةُ Marbella، قال عنها ياقوت: (بالفتح ثم السكون، وباء موحدة، ولام مشددة مضمومة، وهاء ساكنة: هي ناحية من أعمال قبرة

(١) الروض المعطار، ص ٤٥٣؛ ينظر أيضاً: المقرئ، نضح الطيب، ١/٢٠٤.

(٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣١.

(٣) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٨؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٥٦٧؛ الزبيدي، تاج العروس، /٤٠٠ (مادة ق م س).

(٤) دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٨/٣٨٠.

(٥) تاج العروس، /١٦/٤٠٠ (مادة ق م س).

بالأندلس^(١)، ووردت في مصادر أخرى أن مربله من أعمال مالقة Malaga^(٢)، والراجح أن هناك موضعين بهذا الاسم أحدهما في مالقة والآخر في قبرة وقد سمي الأخير بذلك لأن نهر مربله يمر من مالقة نحو قبرة ويصل إلى بيانة Baena^(٣) فعرف هذا الموضع به، واتفاق اللفظ واختلاف الصقع ظاهرة موجودة في الأندلس^(٤).

١٦ - مسانة ذكر ابن حيان أنها أحد قرة قبرة وذلك أثناء حديثه المواجهات بين قوات الإمارة وابن حفصون^(٥).

١٧ - مطليانة وهي محلة تقع على مقربة من مدينة قبرة باتجاه مدينة قرطبة، ويتضح من وصف ابن حيان أنها في آخر عمل كورة قبرة نحو قرطبة^(٦).

١٨ - مطنانة إحدى قرى كورة قبرة، ذكرها ابن حبان في معرض حديثه عن إحدى المعارك التي دارت بين قوات الإمارة وابن حفصون^(٧).

١٩ - أبو هبيرة، وهو منزل من أعمال كورة قبرة، ذكره ابن الفرضي في معرض حديثه عن زيد بن شريح وقال: من أهل قبرة، وكان مسكنه

(١) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٦٢.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٠/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٤؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٢٣.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ١١٩.

(٤) ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧- ١٨.

(٥) ابن حيان، المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١٦٣.

(٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٦٠ - ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤ م) ص ٤٣.

(٧) ابن حيان، المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١٦٨.

منها بمنزل أبي هبيرة، وهو صاحب الصلاة في موضعه^(١)، وأبو هبيرة كنية عربية، ولعل المنزل نُسب إلى أحد العرب المكنى بذلك كان قد اتخذه منزلاً فَعرف به، ولم تفتح المصادر المتوفرة لدينا به، والمنزل من الناحية الجغرافية هو المكان الذي يقع على الطريق العامة^(٢)، ما يعني أن منزل أبو هبيرة كان على إحدى الطرق المارة بكورة قبرة.

٢٠- واسط، وهي بلدة من أعمال قبرة والنسبة إليها واسطي انتسب إليها عدد من العلماء^(٣)، والبلدة مصطلح أراد به الجغرافيون العرب الموضع الذي يمثل حلقة الوصل بين المدينة والقرية^(٤) أي هي دون المدينة في الحجم والكثافة السكانية وأكبر من القرية.

٢١- تيرملة، ذكرها ياقوت بقوله: (بالفتح ثم السكون، وفتح الميم، ولا م: من نواحي قبرة بالأندلس)^(٥)، والراجح أن ناحية يرملة تقع في أطراف كورة قبرة وذلك لأن الناحية اسم يطلقه الجغرافيون المسلمون على المنطقة الواقعة على طرف الكورة أو المدينة^(٦).

(١) تاريخ علماء الأندلس، ص ١٣٣.

(٢) الدرويش والسويلم، أبو سعد السمعاني، جغرافياً، مجلة مؤتة، العدد الثاني، سنة ١٩٩٦ م، ص ٩٩

(٣) ابن بشكوال، الصلاة، ص ٥٤؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٩٢. ٢٩٢.

(٤) الدرويش والسويلم، أبو سعد السمعاني، جغرافياً، مجلة مؤتة، العدد الثاني، الثاني، سنة ١٩٩٦ م، ص ٩٣

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٩٩.

(٦) الدرويش والسويلم، أبو سعد السمعاني، جغرافياً، مجلة مؤتة، العدد الثاني، الثاني، سنة ١٩٩٦ م، ص ٩٤

٢٢- يَرُوْلَة، ذكرها ياقوت بقوله: (بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، ولام: إقليم بالأندلس يقال له قبر يرولة من أعمال كورة قبرة)^(١)، وكما مرّ بنا فإن الإقليم في الأندلس يطلق على القرية الكبيرة الجامعة، فهي حسب هذا المفهوم من قرى كورة قبرة.

أما نشاطها الاقتصادي فهو متنوع بسبب بيئتها الطبيعية ففيها الجبال والسهول والوديان، فتأتي الزراعة في مقدمة ذلك حيث تتميز كورة قبرة بوفرة المياه التي تأتيها من مصدرين: الأول مياه نهر مربلة الذي يشق المنطقة فيسقي أراضيها ويغمرها بخيراته، وقد علق الحميري على ذلك بقوله: (وهي على نهر مربلة يأتيها من جهة القبلة، وهو نهر كبير، عليه الأرحاء الكثيرة)^(٢)، والأرحاء عادة ما تستخدم لطحن الحبوب وهي عبارة عن حجرين مستديرين ويضع أحدهما على الآخر وتدور على قطب الرحي بقوة الماء بواسطة الناعورة^(٣)، وكثرة الأرحاء المنصوبة على الأنهار تدل على وفرة الحبوب ومنتجات الزراعة الأخرى التي تحتاج إلى الطحن، والمصدر الثاني لمياه كورة قبرة هو العيون التي وصفها الحميري بقوله: (ذات مياه سائحة من عيون شتى، منها العين التي عليها النهر الذي هناك مخرجه من ناحية جبل شيته - شية - عليه أرحاء كثيرة)^(٤).

وبسبب وفرة المياه تنوع إنتاجها الزراعي فالمناطق السهلية كانت تزرع الحنطة والشعير، فقد أشار الإدريسي إلى أن مدينة بيانة (لها مزارع

(١) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٩٩.

(٢) الروض المعطار، ص ١١٩.

(٣) العسكري، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص ٢١٩.

(٤) الروض المعطار، ص ٥٥٣.

الحنطة والشعير)^(١)، وقال عن حصن قبرة: إنه (كالمدينة حصين المكان وثيق البنيان وهو على متصل أرض وطيدة وعمارات ومزارع)^(٢)، ووصف ياقوت بيانة بالقول: (كبيرة حصينة على ربوة، يكتنفها أشجار وأنهار)^(٣)، فيما وصف الكورة بأجمعها بأنها (أرض زكية تشتمل على نواح كثيرة ورساتيق)^(٤).

كما تحدث ابن غالب عن الزراعة في كورة قبرة وقال: (أكثر أرضها بيضاء، يحجب تكاثف ثمارها والتفاف أشجارها عيون الناظرين)^(٥)، وقال عن مدينة بيانة قاعدة قبرة: (ولها مدينة بيانة، وهي عظمة حصينة، على ربوة طيبة التربة، مغرسة بالشجر والكروم، وأنواع الثمرات)^(٦).

ويعد الزيتون من أشهر أشجارها وقد تحدثت عنه أغلب المصادر التي تطرقت إليها، فذكر الإدريسي أن مدينتها بيانة (حفت بها أشجار الزيتون الكثيرة)^(٧)، وقال عنها ابن غالب: إنها (مخصوصة بكثرة الزيتون)^(٨)، وإلى ذلك أشار ياقوت أيضاً^(٩)، أما مؤلف مجهول فقد أفاض أفاض في وصف أشجار الزيتون بها بقوله: (ودار بها الزيتون من جميع

(١) نزهة المشتاق، ٥٧١/٢.

(٢) نزهة المشتاق، ٥٧١/٢.

(٣) الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٥.

(٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١٢.

(٥) فرحة الأنفس، ص ١٣.

(٦) فرحة الأنفس، ص ١٣.

(٧) نزهة المشتاق، ٥٧١/٢.

(٨) فرحة الأنفس، ص ١٣.

(٩) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١٢.

جهاتها مسيرة أربعة أميال من كل جهة^(١) ثم قال: وهي كثيرة المياه فيها (التين والكرم والزرع والضرع والخيرات)^(٢).

ويبدو أن ما تميزت به كورة قبرة من موقع متميز قريب من قرطبة فضلاً عن خصوبة تربتها ووفرة مياهها واتساع أرجائها جعلها محط أنظار العديد من المسورين من أهل قرطبة فاتخذوا فيها الضياع والمنازل والقرى، ولدينا بعض ما يشير إلى ذلك، فمثلاً كان أبو الغمر بن فهد أحد فقهاء قرطبة في ضيعته في قبرة فطلبه الأمير عبد الله بن محمد للقضاء^(٣)، والمحدث أحمد بن هشام الأموي كان من أهل قرطبة ولكنه استوطن في قرية اختبانية من عمل قبرة ومنها كان يتردد على قرطبة^(٤)، وكذلك الفقيه الأندلسي حبيب بن الوليد الملقب بدحون كان له حلقة بجامع قرطبة إلا أن سكناه في قرية له بقبرة^(٥)، وسليمان بن العباس بن سعيد الأموي كانت له ضيعة بترجالة من قبرة^(٦)، ولعل وجود هذه الظاهرة بين أهالي قرطبة ولجوء بعضهم إلى اتخاذ الضياع والقرى في كورة قبرة ما يفسر لنا كثرة تلك القرى فيها والتي وصل عددها حسب مؤلف مجهول إلى ستمائة ونيف وثلاثين قرية^(٧).

(١) تاريخ الأندلس، ص ٩٠.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ٩٠.

(٣) الخشني، قضاة قرطبة، ص ١٤٧.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ١٩.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٢٢٨/١.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٧.

(٧) تاريخ الأندلس، ص ٩٠.

ثانياً: التاريخ الإداري والسياسي لكورة قبرة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة عن كيفية فتح المسلمين مدينة قبرة أو تاريخ ذلك، إلا أنه على ما يبدو أنها فتحت أثناء فتح المسلمين لكورة البيرة وقرطبة وذلك لأنها تقع إلى الجنوب من قرطبة وغرب البيرة فمن غير المعقول أن تسير الجيوش إلى قرطبة أو البيرة دون أن تمر في كورة قبرة أو بعض منها، فعندما تمكن طارق بن زياد من هزيمة ملك القوط الغربيين Viaigoths لوذريق في معركة وادي لكة^(١) Sevilla Rio Cuadalete في شوال من سنة ٩٢هـ / ٧١٠م اتجه إلى إشبيلية Sevilla فتمكن من فتحها ثم اتجه إلى مدينة إستجة^(٢) التي تجمع فيها قسم من الجيش القوطي، وبعد هزيمتهم قرر التقدم والزحف مباشرة إلى طليطلة Toledo عاصمة القوط الغربيين، وقبل أن يشرع أرسل فرقاً من جيشه

(١) مدينة أندلسية من كورة شنونة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١.
(٢) مدينة أندلسية قديمة تقع بين القبلة والغرب من قرطبة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣.

لفتح بعض المناطق التي تجمع فيها القوط وهي: قرطبة^(١) والبيرة ومالقة Malaga^(٢) وتدمير Tudmir^(٣).

أما بالنسبة للجيش المتجه نحو البيرة فتمكنوا من فتح مدينتها ثم فتحوا غرناطة Granada ثم مضوا إلى تدمير^(٤)، ويمكن القول إن ذلك كان في أواخر سنة ٩٢هـ / ٧١٠م، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط كما قال المقري: (كانت الملاقاة يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعد تئمة ثمانية أيام...^(٥))، وكان فتح قرطبة في شوال من السنة نفسها^(٦)، ولما كان طارق في طليطلة أوائل سنة ٩٣هـ / ٧١١م^(٧)، فهذا يعني أن دخول كورة قبرة في حكم المسلمين كان في المدة بين شوال وذو الحجة من سنة ٩٢هـ / ٧١٠م.

تعد كورة قبرة من المناطق ذات التنوع الديموغرافي، فنزلها العرب

(١) وهي قاعدة وعاصمة الأندلس لحقبة طويلة تقع على نهر الوادي الكبير، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦- ٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦- ٤٥٧.

(٢) وهي كورة كبيرة في الأندلس تقع بين القبلة والشرق من قرطبة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٤٠.

(٣) لمزيد من التفاصيل ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٨/١- ١٩.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٢- ٢٣؛ ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ١٦.

(٥) نضح الطيب، ٢٥٩/١؛ ينظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ٨/٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩/٢- ١٠؛ المقري، نضح الطيب، ١٢/٣.

(٧) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٤.

والبربر فضلاً عن سكانها الأصليين سواء من النصارى أو المولدين^(١)، وبخصوص المستوطنون الجدد (العرب والبربر) فالراجح أن خصوبة منطقة قبرة وكثرة أشجار الزيتون بها كانت من العوامل المساعدة التي دفعت هذه الأقوام إلى اختيارها وتفضيل السكن بها^(٢).

فمن القبائل العربية التي نزلتها هم الأنصار من الخزرج والأوس، فقد أشار ابن حزم إلى أن من ولد مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الذين سكنوا الأندلس قوم يعرفون ببني خبيب وبني قطين الساكنون في قرية إختيانة من قبرة^(٣)، كما نزلها الأوس أحفاد حيان الأنصاري^(٤) وهو جبل من عمل قبرة^(٥).

واستوطن كورة قبرة أيضاً عدداً من بني أمية من قريش، منهم من ولد سعيد الخير بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، قال ابن حزم: عقب سعد الخير كثير أولهم بقرطبة وقبرة^(٦) منهم سليمان بن العباس بن سعيد الخير الذي وصفه ابن حزم بأنه كان متبتلاً

(١) المولدون هم أبناء البلاد الأصليين الذين دخلوا الإسلام، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٦٠ - ٤٦١.

(٢) طه، الفتح والاستقرار، ص ١٩٠.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٣٦٣.

(٤) ذكر ابن الأبار منهم: حَيَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَيَّانِ بْنِ فَرْحُونَ بْنِ عَلَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى بْنِ مَالِكِ بْنِ حَمْدُونَ بْنِ حَيَّانِ الْأَنْصَارِيِّ الْأَوْسِيِّ مِنْ أَهْلِ بِلْسُنِيَّةٍ، قَالَ: وَأَصْلُ سَلْفِهِ مِنْ أَرُوشَ، التكملة، ١/٢٣٦، ٤/١٤٤

(٥) ابن حيان، المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٩١٢-٨٨٨ م)، ص ١٦٧ - ١٦٨؛

ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٤٦

(٦) جمهرة أنساب العرب، ص ٩٥.

صوفياً ملازماً ضيعته بترجالة من قبرة^(١)، ومنهم أحمد بن هشام بن أمية ابن بكير الأموي الذي كان نازلاً بقربة إختيانة من عمل قبرة^(٢)، ومنهم حبيب بن عبد الملك بن عبد الله بن عمر بن الوليد بن عبد الملك سكن قبرة وتوفي فيها وولده بها^(٣)، ومنهم بنو دحون وهو حبيب الداخل إلى الأندلس بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن الوليد بن عبد الملك^(٤)، ومنهم من ولد هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك اتخذوا قبرة مأوى لهم^(٥)، ولعل نزولهم كورة قبرة لقربها من العاصمة قرطبة أولاً والابتعاد عن زحمة العاصمة ثانياً وبإمكانهم الذهاب إليها متى شاءوا.

ومن بني كلاب^(٦) استقر العديد منهم في كورة قبرة نبغ منهم العديد من الشخصيات المهمة مثل القاضي علي بن أبي بكر بن عبيد الكلابي أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط^(٧) والقاضي النضر بن سلمة الكلابي أيام الأمير عبد الله بن محمد^(٨)، ومن مزينة^(٩) سكن قسم منهم كورة قبرة، قال

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٩٧.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ص ١٩.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٢٢٨/١.

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٣٩؛

(٥) ابن الأبار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ص ١٥٣.

(٦) هم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر صعصعة، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٨٢.

(٧) الخشني، قضاة قرطبة، ص ٨٥؛ ابن حيان، المقتبس (٢٣٢- ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ -

٨٤٦ م)، ص ٦٨؛ ابن الأبار، التكملة، ١٧٢/٣.

(٨) الخشني، قضاة قرطبة، ص ١٣٣.

(٩) وهم عثمان وأوس ابنا عمرو بن أد أمهم مزينة بنت كلب بن وبرة نسب

ولدها إليها، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٠١.

قال ابن حزم: دارهم بالأندلس بيانة^(١)، ومن قبيلة مراد عاشوا في قرطبة قرطبة ونزل العديد منهم في قبرة^(٢)، وكذلك قبيلة أصبح^(٣) استوطن العديد منهم كورة قبرة^(٤)، ومن غسان^(٥) الشام سكن العديد منهم كورة كورة قبرة ولاسيما أحمد بن مدرك وأحفاده^(٦).

أما البربر فقد نزل جماعات من مصمودة^(٧) مدينة بيانة من كورة قبرة، قال ابن حيان: كان منهم سفيان بن ربه المصمودي سلفه برابر بيانة تولى الحجابة الأمير عبد الرحمن الأوسط^(٨).

وعاش المسلمون مع النصارى في الأندلس، وفي كورة قبرة يوجد هناك منطقة تعرف بقومس^(٩)، وقومس هو لقب الأشراف والسادة من

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٠١.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٨٦.

(٣) اسمه الحارث بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٥.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ٢١؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠٣.

(٥) غسان قبيلة نزلت الشام فشرىوا من ماء هناك يسمى غسان فسموا به وهم بنو عامر ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن، ينظر: السمعاني، الأنساب، ٤٢/١٠ - ٤٣.

(٦) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٣٤، ٢٤٣؛ ٣٢١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٣٠٣؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٤١٠.

(٧) مصمودة بن برنس بن بردخل العديد منهم الأندلس، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥، ٥٠٠ - ٥٠١.

(٨) المقتبس (٢٣٢ - ٢٦٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠ م)، ص ٢٨، ٢٥.

(٩) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٨؛ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٥٦٧؛ الزبيدي، تاج العروس، / ٤٠٠ (مادة ق م س).

النصارى^(١)، فلعل تلك القرية كبيرة كان يسكنها النصارى وأشرفهم، وقد سُمّيت المنطقة باسمهم^(٢).

ويبدو أن كورة قبرة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث التي الكبيرة حتى منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ولعل ذلك راجع إلى قربها من قرطبة وقوة الدولة وحكامها آنذاك، وكانوا يسندون عملها إلى عمالهم المخلصين كما حدث عندما ولي الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م) سليمان بن فطيس^(٣) كورة قبرة^(٤)، وكان أهل قبرة يشاركون حكومة قرطبة في غزواتها لاسيما في الثغور، وقد بلغت مشاركتهم في إحدى الغزوات إلى جليقية Galicia أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) ألف وثمانمائة فارس^(٥).

إلا أن عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) شهد العديد من التمردات والفتن الداخلية، وقد وصف ابن الأثير عهده بقوله: (وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن، وصار في كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته)^(٦).

(١) دوزي، تكملة المعاجم العربية، ٣٨٠/٨.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ٤٠٠/١٦ (مادة ق م س).

(٣) ينظر عن أسرة بني فطيس: ابن حيان، المقتبس (٢٣٢- ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م)، ص ٦٧؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣٦٥/٢.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٣٦٥/٢؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ٤٢٦/١.

(٥) ابن حيان، المقتبس (٢٣٢- ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م)، ص ٢٧٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٩/٢.

(٦) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٩.

ويبدو أن الحركات قد استفحلت في معظم مناطق الأندلس ولم تبق قاصرة على المناطق الجبلية، بل تجاوزها إلى القواعد والمدن الكبيرة مثل إشبيلية^(١) وبطليوس Badajoz^(٢) وجيان والبيرة وقبرة ولورقة Lorca ومرسية Murcia وغيرها، ومن أشهر حركات التمرد التي شهدتها المنطقة هي حركة عمر بن حفصون^(٣) وكانت بدايتها من حصن ببستر Bobastro في إقليم رية Rejio والتف حوله جماعة من المولدون مستغلاً حالة الانفلات الأمني الذي ساد في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م) فاستولى على مناطق واسعة من كورة البيرة وشذونة Sidonia وجيان، وأشار ابن الخطيب إلى أن ابن حفصون (اتسع نظره حتى تملك كورة رية، والخضراء، وإلبيرة، إلى بسطة، وأبدة، وبياسة، وقبرة، إلى حصن بلي المطل على قرطبة، وأشرق الخلافة بريقها، ..)^(٤)، إلا أنه على الرغم من أن ابن حفصون ظهر سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م إلا أنه لم يتمكن من مهاجمة قبرة بشكل مباشر إلا بعد وفاة الأمير محمد سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م، وقد علق ابن عذارى على ذلك

(١) مدينة أندلسية قديمة تبعد عن قرطبة ثمانين ميلاً، ينظر: الحميري،

الروض المعطار، ص ٥٨؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) مدينة تقع غرب الأندلس تبعد عن ماردة أربعين ميلاً، ينظر: الحميري،

الروض المعطار، ص ٩٣

(٣) عمر بن حفصون كان من المولدين ثار بالأندلس بإقليم رية سنة

٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م واستمرت ثورته حتى عهد الناصر إذ تمكن من القضاء عليه،

وكانت وفاته سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م، ينظر: ابن حيان، المقتبس، (للحقة

٢٧٥-٣٠٠ هـ / ٨٨٨-٩١٢ م) ص ٧٢-٧٧؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ١٠٤/٢

وما بعدها؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢ - ٣٥.

(٤) الإحاطة، ٢٦/٤.

بقوله: (ولما بلغ ابن حفصون موت الأمير محمد، وانصرف عنه المنذر على ما تقدم، نهض من فوره، فراسل الحصون التي بينه وبين الساحل كلها، فأجابته وطاعت له، ونهض إلى باغة وجبل شيبية (من قبرة)، فأخذ من الأموال ما لا يوصف)^(١).

والراجح أن ابن حفصون في المرحلة الأولى من هجماته ركز على أطراف كورة قبرة المؤدية إلى قرطبة فاستولى حصن بلي (بلاي) على قرية الجالية وجبل شيبية منها، ولما كانت قبرة يسكنها العديد من الأمويين لذا ترك ابن حفصون عدد من جنده بالقرب منها، عندها أرسل أهل قبرة بصريخهم سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م إلى الأمير المنذر (٢٧٣-٢٧٥ هـ / ٨٨٦-٨٨٨ م) فأرسل إليهم الأمير بقوة تمكنت من ردهم عنها، وقد علق ابن عذارى على ذلك بقوله: (وكان اجتمع إلى حصن آشر من حوز رية وبمقربة من قبرة جمع الشر من أصحاب ابن حفصون، فراع أهل قبرة أمرهم وهابوهم، واتصل بالأمير المنذر خبرهم، فأرسل أصبغ بن فطيس في خيل كثيفة إلى حصن آشر^(٢)، فحاصرهم حتى افتتحه، وقتل من كان فيه، وأخرج الأمير المنذر عبد الله بن محمد بن مضر وأبدون الفتى بخيل إلى ناحية لجانة من قبرة، وكان بها مسلحة لابن حفصون، فنازلوهم وقاتلوهم حتى أفنوهم)^(٣)، وفي السنة التالية (٢٧٤ هـ / ٨٧٨ م) خرج الأمير المنذر بنفسه وافتتح عدد من الحصون التي كانت

(١) البيان المغرب، ١١٤/٢.

(٢) وهو حصن بينه وبين أرشذونة عشرون ميلاً، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق،

٥٧٠/٢ - ٥٧١.

(٣) البيان المغرب، ١١٥/٢.

بحوزة ابن حفصون من جهة قبرة^(١).

وعلى الرغم من محاولات حكومة قرطبة الحد من هجمات ابن حفصون إلا أنها لم تفلح من تحجيم قوته التي أخذت تتزايد منع اتساع نطاق التمردات ضدها إلى مناطق أخرى^(٢)، ففي سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م أرسل إليه الأمير عبد الله قائد جيشه إبراهيم بن خنير إلا أن ابن حفصون تمكن من هزيمة الجيش وأسر قائده وعدد من مساعديه وساقهم أمامه ووافق بهم مدينة بيانة الحصينة قاعدة كورة قبرة ولما لم يتمكن من دخولها لطفهم وخادعهم حتى مكنوه منها عندها غدر بهم، وقد علق بن حيان على هذه الحادثة بقوله إن ابن حفصون: (. . . قبض على إبراهيم بن خنير قائد السلطان وعلى جماعة من أصحابه من العرفاء ووافق بهم إلى حصن بيانة فحاربه ودافعه أهلها وواقفوه ثم لطفهم واختدعهم بإعطائه إياهم العهد المؤكدة وتوثقه لهم بالإيمان المغلظة فلما نزلوا إليه تقبض عليهم فقتل جماعة منهم وأصاب أموالهم وسبا ذراريهم وأقبل بجميع نهبهم وما غنمه لهم فصيره بداخل حصن بلاي من كورة قبرة فنزل فيه برجاله مطلاً عللاً قنباية^(٣) قرطبة، وحصن بلاي غاية التحصين وشكه أشد الشوكة^(٤) وأخذ من حصن بلاي يشن الغارات

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ١١٦/٢.

(٢) ينظر عن الخارجون على حكومة قرطبة المعاصرون لابن حفصون: ابن

حيان، المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ٢٤ - ١١٢.

(٣) قنباية وتلفظ أيضاً كقنباية وهي إحدى قرى نواحي قرطبة، ينظر:

ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٢.

(٤) المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١١٤؛ ينظر أيضاً: ابن

عذارى، البيان المغرب، ١٢٢/٢.

على قرطبة وباقي أراضي كورة قبرة، ووصف ابن حيان ذلك بقوله (وتمادى انتفاض عمر بن حفصون في عقب سنة سبع وسبعين ومائتين وأقام بحن بلاي مصطفاً بحصنه ويقويه ويحاصر من تلقائه كورة قبرة... وغيرها من المدن والحصون المجاورة لأحواز قرطبة وقد ازداد الحال فيها ضيقاً وشدة)^(١).

وكانت مدينة قرطبة الأكثر تضرراً من هجمات ابن حفصون عليها من حصن بلاي (بلي) وهو ما ألقى الروح في نفوس أهالي قرطبة والسلطة الحاكمة فيها معاً، فأخذ ابن حفصون (يسري من حصنه ذلك الليلة بعد الليلة فيطرق القنابية ويدنو من أبواب قرطبة حتى ينتهي إلى كدى قرية شقندة)^(٢) إزاء قصر الخلافة، بعدوة النهر الأعظم فيروع أهلها ويضيم سلطانها، فانزعج لفعله هذا الأمير عبد الله وأنف منه واستعزم على غزو الخبيث بنفسه وقصده بقوته)^(٣)، وهكذا قام الأمير عبد الله بحشد نحو أربعة عشر ألفاً من جنده وهاجم قوات ابن حفصون البالغة نحو ثلاثين ألفاً وطرده من حصن بلاي من كورة قبرة والمطل على قرطبة وذلك سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م، وجاءت معركة حصن بلاي عند ابن حيان مطولة وأسماها غزوة حصن بلاي وفتحها^(٤)، فيما اختصرها ابن عذارى بقوله: (فجمع له الأمير أهل قرطبة، وسار إليه في نحو

-
- (١) ابن حيان، المقتبس، (للمحقبة ٣٠٠٠٢٧٥ هـ / ٩١٢٨٨٨ م) ص ١١٥- ١١٦.
 - (٢) شقندة قرية بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٩.
 - (٣) ابن حيان، المقتبس، (للمحقبة ٣٠٠٠٢٧٥ هـ / ٩١٢٨٨٨ م) ص ١١٦- ١١٥.
 - (٤) ابن حيان، المقتبس، (للمحقبة ٣٠٠٠٢٧٥ هـ / ٩١٢٨٨٨ م) ص ١١٦- ١٢٧.

أربعة عشر ألفاً، وحشد ابن حفصون نحو ثلاثين ألفاً، فصدمه الأمير
بمن معه، فشر عقده وفرق جمعه، فعملت السيوف في رقابهم، وتبعث
سيل أعقابهم، حتى رويت الأرض من دمائهم، ودخل الأمير عبد الله
القلع الثائرة عليه، وصارت يومئذ في يديه^(١).

ووصف ابن حيان نتائج بلاي بقوله: (. . . بعد أن قتل منه خلق
كثير جيء برؤوسهم إلى قرطبة وبخيول كثيرة أخذت، شهّر ذلك أجمعه
بقرطبة فسر أهلها بذلك وسكنت النفوس، وفصل السلطان عبد الله
على تفيئة ذلك بغزوته إلى الفاسق بحصن بلاي ففضه وفتح الحصن
وافره عنه ودحره وأزال بذلك الغضاضة عن سلطانه^(٢)، وقد هنا
الشاعر ابن عبد ربه^(٣) الأمير عبد الله على ذلك النصر بقصيدة طويلة
أشار فيها إلى حصن بلاي من كورة قبرة بقوله:

لما حقلن إلى بلاي عشية

أقوت معاهدها من الأعلاج

فكأنما جاشت خلال ديارهم

أسد العرين خلت بسرب نعاج

ونجى ابن حفصون ومن يكن الردى

(١) البيان المغرب، ٢/١٣٢.

(٢) المقتبس، (للحقبه ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١٢٥.

(٣) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم مولى
الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، أديب من أهل قرطبة، تولى سنة ٣٢٨
هـ/٩٣٩ م من آثاره كتاب "العقد الفريد، ينظر: ابن الفريسي، تاريخ علماء
الأندلس، ص ٤١؛ الحميدي، جنوة المقتبس، ص ١٠١ - ١٠٤.

والسيف طالبيه فليس بناج^(١)

ويبدو أنه نظراً لاتساع كورة قبرة وانبساط قراها وحصونها فإن بعضها استمرت تحت نفوذ ابن حفصون إذ لم تستطع قوات حكومة قرطبة بعد معركة حصن بلاي من طرد ابن حفصون من جميع مناطق الكورة، ففي سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م خرجت قوات الإمارة وحاصرت معقل ابن حفصون في بيستر^(٢) إلا أنها لم تتمكن من اقتحامه فاتجهت القوات نحو بعض قرى كورة قبرة ولاسيما قرية مسانة وجالت فيها أياماً ثم عادت إلى قرطبة^(٣).

وفي سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م عملت حكومة قرطبة على تحصين جبل أروس (ايروس، أروش) من عمل كورة قبرة^(٤) وذلك من أجل تضييق الخناق على ابن حفصون ومنعه من مهاجمة قرطبة كون تلك الحصون تقع على الطريق المؤدي إلى قرطبة، كما على عملت على وضع قوة مراقبة ثابتة هناك تحت قيادة أحد قادة الدولة وهو عيسى بن محمد بن أحمد بن أبي عبدة في حصن بيانة قاعدة قبرة، وقد حاول ابن حفصون بالتعاون مع أحد حلفائه المدعو سعيد بن مستنة^(٥) مهاجمة قرى كورة قبرة فتصدى

-
- (١) ابن حيان، المقتبس، (للقبة ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١٢٣.
 - (٢) وهو أحد حصون كورة رية المنيعة بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٣.
 - (٣) ابن حيان، المقتبس، (للقبة ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١٦٣.
 - (٤) ابن حيان، المقتبس، (للقبة ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١٦٨.
 - (٥) هو سعيد بن وليد بن مستنة ثار في مدينة باجة وتحالف مع ابن حفصون وبقي خارجاً على السلطة حتى مقتله سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م، ينظر: ابن حيان، المقتبس، (للقبة ٣٠٠.٢٧٥ هـ / ٩١٢.٨٨٨ م) ص ٧٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٧/٢.

لهم قائد جيش الإمارة محمد بن أبي عبدة واستطاع هزيمتهم، وقد علق ابن حيان على هذه الحادثة بقوله: (مشى القائد أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبدة في هذه السنة بجبل أروس - ايروس - من كورة قبرة وبني الحصون)^(١)، وعندما رجع الجيش ترك فرقة منه في مدينة بيانة بقيادة ابنه عيسى^(٢)، ويبدو أن ذلك كان على هيئة كمين لمراقبة الموقف، فقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله: (وشتى القائد هذه السنة بجبل أرنيش من كورة قبرة، وكانت له في هذه الشتوة حركات بالغت في نكاية أهل النفاق)^(٣).

وعندما رجع جيش محمد بن أبي عبدة أغار عمر بن حفصون وابن مستنة على قرى قبرة وقرطبة فتصدى لهم عيسى بن أحمد وأرغمهم على الفرار، وفي ذلك يقول ابن حيان: إنه في سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م (أغار الخبيثان عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة على قرى قبرة وقرى قرطبة فخرج عيسى بن أحمد طالباً لهم فلحقهما بقرية مطانة من قبرة، فرقت بينهم حرب شديدة على نهر ألبة انكشف لها الخبيثان فقتل من أصحابها مقتلة عظيمة وولوا منهزمين وأخذ علمهم ومضوا على غير هداية)^(٤).
ونظراً لأهمية قبرة بالنسبة لقرطبة فقد كانت أول خطوة قام بها الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠ هـ / ٩١٢-٩٦١ م) بعد توليه وفي أول جلوسه أن أرسل وزيره القائد أبا العباس أحمد بن محمد بن أبي

-
- (١) المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١٦٨.
 - (٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١٦٨.
 - (٣) البيان المغرب، ٢/ ١٤٦.
 - (٤) المقتبس، (للحقبية ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م) ص ١٦٨؛ ينظر أيضاً: ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/ ١٤٧.

عبدة إلى كورة قبرة سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م للقضاء على الخارجين فيها على الدولة فأكمل مهمته بنجاح^(١).

وسارع العديد من أهالي كورة قبرة إلى الانضمام إلى جيش الإمارة لمحاربة الخارجين عليها، فعندما أرسل الأمير قواته بقيادة صاحب شرطته قاسم بن وليد الكلبي لفتح إشبيلية والقضاء على الخارجين فيها انضم إليه العديد من أهالي كورة قبرة، ويعلل ابن حيان ذلك بقوله: فبيت (حصن قبرة، وانحاش إلى الكلبي منها، الذي هو صاحب السلطان، عدد من شيعته من ذوي الطاعة شامي وأموي، منهم يحيى الخطار وابن أبي عمران وغيرهما...)،^(٢) وهذا النص يوضح أن عدد أهل الشام وبني أمية في قبرة كان كبيراً وأن الشخصين أعلاه ربما كانوا من الزعماء فيها والمعارضين لكل خروج على السلطة، وهو ما يفسر أيضاً عدم رسوخ قدم الخارجين على الإمارة في كورة قبرة طيلة مدة حكم الأمير عبد الله ثم سرعة انضمامهم إلى قوات الأمير عبد الرحمن الثالث.

وكان قائد جيش الإمارة قاسم بن وليد الكلبي عسكر في قبرة يسانده في صاحب قرمونة Carmona^(٣) محمد بن إبراهيم بن الحجاج^(٤)

(١) ابن حيان، المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م) ص ٥٣.

(٢) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م) ص ٧١.

(٣) قرمونة وهي كورة بالأندلس يتصل عملها بإشبيلية غربي قرطبة وشرقي إشبيلية، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٥.

(٤) ينتسب بنو الحجاج إلى قبيلة لخم العربية وكانت لهم مواطن في إشبيلية وقرمونة وعندما اضطرت الأمور في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري استولى أحد رجالاتهم وهو إبراهيم بن الحجاج اللخمي على إشبيلية وقرمونة وأسس إمارة له هناك شبه مستقلة عن حكومة قرطبة وبعد وفاته تولى ابنه عبد الرحمن إشبيلية ومحمد بن إبراهيم على قرمونة

من أجل تجميع جيوشه قبل أن يتجه نحو إشبيلية لمقارعة ابن حفصون الذي كان فيها لمساندة حليفة أحمد بن مسلمة^(١)، وفي تلك الأثناء حاول عمر بن حفصون أن ينتهز فرصة منهم فهاجمهم في قبرة ووقعت بينهم حرب صعبة انهزم فيها ابن حفصون حتى لحق بمقره حصن بُبَشْرُ وذلك سنة ٣٠١ هـ/ ٩١٣ م، وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: (وتقدم ابن حفصون من مدينة إشبيلية فأجاز النهر وقصد حصن قبرة رجاء أن ينتهز منه فرصة، وكان فيه محمد بن إبراهيم بن حجاج وقاسم ابن وليد الكلبي فيمن اجتمع إليهما من رجال الطاعة وحشم السلطان الذين بعثهم من قرطبة، فنازلهم عمر بن حفصون وبرزوا إليه ووقعت بينهم حرب صعبة انهزم عنها ابن حفصون فولى مدبراً قد قُتِلَ رجاله وفلَّ حده، فمرَّ على وجهه والأتباع يُرْهقه لا يلوي على أحد حتى لحق بقلعته^(٢))، ويتضح من نص ابن حيان أن أهل قبرة كان لهم دور كبير في مقارعة ابن حفصون حيث أساهم ابن حيان أهل الطاعة بنصرتهم جيش حكومة قرطبة، وبعد ذلك لم تشهد كورة قبرة أحداثاً كبيرة طيلة

واستمروا في ذلك حتى عهد عبد الرحمن الثالث الذي قضى على إمارتهم، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/ ٣٣١ - ٣٣٤.

- (١) ثار بنو الحجاج في إشبيلية أيام الأمير عبد الله واستقل إبراهيم بن الحجاج فيها، وبعد وفاة إبراهيم خلفه ابنه عبد الرحمن بن إبراهيم، وبعد وفاة الأخير سنة ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م دفع أهلها أخاه محمد بن إبراهيم بن الحجاج وولوا عليهم رجل يدعى محمد بن مسلمة فخرج محمد بن إبراهيم بن الحجاج إلى قرمونة وتسلم أحمد بن مسلمة إشبيلية وقام الأخير بمحاربة عمر بن حفصون ضد قوات الإمارة بقي حتى سنة ٣٠١ هـ/ ٩١٣ م عندما تمكنت قوات الإمارة من القضاء عليه واقتياده إلى قرطبة، ينظر: ابن حيان، المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٤١ م) ص ٦٩ - ٨١.
- (٢) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٤١ م) ص ٧٢.

عهد عبد الرحمن الثالث الناصر ما يعني استقامة الأمور بها. ويطالعنا ابن حيان من خلال الحقبة التي وصلت إلينا من تاريخه في بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (أي المدة بين سنة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م) بأسماء عدد من الولاة الذين عينتهم حكومة قرطبة على قبرة، ففي سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م قُسمت كورة قبرة إلى ثلاثة أقسام حاضرة بيانة وما يليها وليّ عليها أحمد بن شراحيل، وحصن بلاي وأحوازه أسندت ولايته إلى سعيد بن أبي القاسم الخال، أما باقي الكورة فوليّ عليها طرفة بن عبد الرحمن^(١)، وفي سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م سُجل لأبي الشعراء بن أبي عبد الرحمن على مدينة بيانة^(٢) ولم يشر إلى باقي المناطق، وفي سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م عُزل أبو الشعراء بن عبد الرحمن عن مدينة بيانة كما عُزل عبید الله بن موسى عن كورة قبرة^(٣)، وهذا يعني أن أبا الشعراء استمر في ولايته خمس سنوات ولكن لم يوضح النص من أين مكانة ونفس الحال عن باقي الكورة، وفي سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م عُزل قاسم بن عبد الرحمن عن كورة قبرة وجُعل مكانة محمد بن إبراهيم ابن بقية^(٤)، ولم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى تراجع هؤلاء الذين تولوا قبرة خلال المدة التي وصلتنا من مقتبس ابن حيان، والذي تؤشره هذه التعيينات هو أن حكومة قرطبة عملت على تقسيم الكورة إلى عدة ولايات ما يعكس اتساعها وترامي أطرافها، وكذلك ربما قلق حكومة قرطبة من الأوضاع فيها أو للحيلولة دون تمكين العمال اتخاذ نفوذ لهم

(١) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م) ص ٢٥٣.

(٢) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م) ص ٢٨٥.

(٣) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م) ص ٣٧٧.

(٤) المقتبس (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م) ص ٤٦٢.

هناك، وفي كلاهما تعكس الاهتمام الكبير الذي توليه حكومة قرطبة بهذه المنطقة، ثم إن تلك التقسيمات استمر - على ما يبدو - أيام الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦ هـ / ٩٦١-٩٧٦ م)، فعندما استقبل الوفود الكور المهنيين له في قرطبة كان وفد كورة قبرة يتكون من ثلاثة مناطق هي: قبرة وبيانة وبلاي^(١).

ويبدو أن قبضة حكومة قرطبة استمرت بعد ذلك لعدم ذكر المصادر أحداث مهمة وقعت فيها واستمر ولاء الناس وطاعتهم، ففي سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م هاجم النورمان Normana^(٢) سواحل الأندلس فاستنفر الخليفة المستنصر بالله الناس لقتالهم واشترك أهالي كورة قبرة في تلك المحلة وكانوا بقيادة قاضيها محمد بن يوسف الذي وقف تحت لواء الجيش وهو يتلو آيات من القرآن الكريم^(٣)، وفي السنة نفسها استقبل الخليفة وفود أهل الأندلس الذين قدموا عليه لمشاهدة وفد المغرب من زناتة^(٤) في بلاط الخليفة وكان في مقدمتهم وفد كورة قبرة^(٥).

وبعد سقوط الدولة العامرية وظهور في الأندلس ما يسمى بالفتنة^(٦)

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقب ٣٦٠ - ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤ م) ص ٢٠١.
(٢) ورد اسمهم في المصادر الأندلسية الازدمايون أو المجوس وهم سكان الشمال من الدول الاسكندنافية الذين اشتهروا بنشاطهم البحري وهم يستهدفون المناطق الساحلية المكشوفة وغير المحصنة، ينظر التفاصيل: الحجى، التاريخ الأندلسي، ص ٢٢٧ - ٢٤٠.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقب ٣٦٠ - ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤ م) ص ٢٥ - ٢٦.
(٤) ينظر التفاصيل عن استقبال وفد زناتة ومعهم جعفر بن علي بن حمدون في الأندلس: ابن حيان، المقتبس (للحقب ٣٦٠ - ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤ م) ص ٥٦ - ٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٥) ابن حيان، المقتبس (للحقب ٣٦٠ - ٣٦٤ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤ م) ص ٥٧.
(٦) يقصد بالفتنة هي المدة التي تلت سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م

في بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وما تلاها من سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م بدأ عصر جديد في الأندلس أطلق عليه المؤرخون عصر دويلات الطوائف Taifas, Los (٤٢٢-٤٨٤ هـ/ ١٠٣٠-١٠٩١ م وأحسن وصف لهذا جاء على لسان ابن الخطيب إذ قال: (نقول وبالله الاستعانة ومنه الحول والقوة ذهب أهل الأندلس من الانشقاق، والانشعاب، والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع امتيازها بالمحل القريب والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الإمامة مكتسب، اقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب، وكتبت عنهم الكتاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين، وشهدت بوجوب حقهم الشهود، ووقفت بأبوابهم العلماء، وتوسلت إليهم الفضلاء، وهم ما بين محبوب، وبربري مجلوب، ومجند غير محبوب، وغفل ليس في السراة بمحسوب، ما منهم من يرضى أن يسمى نائراً، ولا لحرب الحق مغائراً، وقصارى أحدهم يقول: أقيم على ما بيدي، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه، ولو جاءه عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه، ولا لقي خيراً لديه، ولكنهم استوفوا في ذلك آجالاً وأعماراً، وخلفوا آثاراً، وإن كانوا لم يبالوا اغتراراً، من معتمد، ومعتضد، ومرتضى، وموفق

٣٩٩هـ/١٠٠٨م حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، ينظر: العنذري، ترصيع الأخبار، ص ١٦؛ المراكشي، المعجب، ص ٧١؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١/١٥٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٥٣.

ومستكفي، ومستظهر، ومستعين، ومنصور، وناصر، ومتوكل^(١). وهكذا انقسمت الأندلس إلى دويلات فكانت كورة قبرة من نصيب بني مناد الصنهاجيين^(٢) الذين حكموا المنطقة للمدة من ٤٠٣ - ٤٨٣ هـ / ١٠١٢ - ١٠٩٠ م^(٣)، وقد امتدت حدود دولتهم إلى جيان^(٤) وبذلك فقد أصبحت قبرة ومنطقتها ضمن دولتهم^(٥)، وفي أواخر عهد حبوس ابن باديس (٤٢٩-٤٦٧ هـ / ١٠٣٧-١٠٧٤ م) رابع حكام بني زيري في غرناطة أخذ عمال المناطق التابعة له يتدخلون في شؤون الدولة وذلك بسبب إطلاق يد وزراءه في الحكم، ففي وزارة الناية^(٦) الذي وصفه ابن بلقين (بأنه الحاكم دون السلطان)^(٧) تآمر صاحب باغة Priego وصاحب قبرة وصاحب وادي آش Guadix على الإيقاع بالناية، فعلاً تمكنوا من قتله^(٨)، ولم يذكر ابن بلقين اسم صاحب قبرة واكتفى بالقول

(١) أعمال الأعلام، ١٣٩/٢ - ١٤٠.

(٢) ينظر عن نسب بني مناد في غرناطة: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢٣٨/٦ ؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣١٧.

(٣) ينظر التفاصيل عن دولة بني مناد: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٠/٢ - ١٤٦.

(٤) ابن بلقين، التبيان، ص ٣٤ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٣٨/١ ؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٠٨ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٦/٢، ١٣٣.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢١٠/٢.

(٦) كان الناية عبداً للمعتضد بن عباد واتهم بالتآمر عليه ففر إلى حبوس بن باديس الذي قربه وحظي عنده حتى استوزره بعد مقتل وزيره اليهودي يوسف بن نغالة، ينظر: ابن بلقين، التبيان، ص ٣٥ - ٣٦.

(٧) التبيان، ص ٤٤.

(٨) ابن بلقين، التبيان، ص ٤٦ - ٤٧.

إنه ابن يعيش^(١)، وعلى أية حال فإن ذلك يدل على تنامي نفوذ أولئك الولاية في مناطقهم ومنهم صاحب قبرة.

ويبدو أن صاحب قبرة بعد ما جرى بينه وبين حلبوس بن باديس رجع إلى بلده وأخذ يراقب الموقف وما يؤول إليه أمر الحكم في غرناطة بسبب تشتت الكلمة وتفرق الناس عن أميرها الذي لم يطل به الوقت كثيراً إذ توفي سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م^(٢)، فتسلم حكم غرناطة بعد حفيده حفيده عبد الله بن بلقين (٤٦٧ - ٤٨٣ هـ / ١٠٧٤ - ١٠٩٠ م) وقد وصفه ابن الخطيب بالقول: (كان عبد الله بن بلقين جباناً معتمد السيف، متكاسلاً عن الخيل، زاهداً في النساء، موصوفاً بالضعف)^(٣)، وفي أيامه ضعفت دولة بني مناد الصنهاجيين في غرناطة وتكالب عليها بقية دويلات الطوائف^(٤)، وكان أول الطامعين بها هو المعتمد بن عباد^(٥) حاكم إشبيلية الذي استولى على قرطبة سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م^(٦) ثم جيان وقبرة فرد عليه ابن بلقين بأن هاجم قوات المعتمد واستطاع

(١) التبيان، ص ٤٦.

(٢) اختلف في سنة وفاة حلبوس بن باديس والراجح أن ذلك كان سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م، ينظر: الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٦٩.

(٣) أعمال الأعلام، ٢/٢١٣؛ ينظر أيضاً: الإحاطة، ٢/٢٩٠.

(٤) ينظر المزيد عن حالة دولة بيني مناد أيام عبد الله بن بلقين: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢١٢ - ٢١٤؛ الطويل، مملكة غرناطة، ص ١٧١ - ١٧٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢/١٤٢ - ١٤٦.

(٥) حكم المعتمد بن عباد دولة إشبيلية من سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م حتى دخول المرابطين إليها واعتقاله سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م، وكانت وفاته ٤٨٨ هـ / ١٠٩٦ م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٥٢ - ٦٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٥٤ - ١٦٢.

(٦) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٥٥.

استرجاع قبرة منه، وكان كلا الجانبين قد استعان بالنصارى على الآخر،
فما كان من المعتمد أن تعاقد مع ملك قشتالة الفونسو السادس (٤٥٨ -
٥٠٢ هـ / ١٠٦٥ - ١١٠٨ م) على اجتياح غرناطة على مبلغ من المال^(١)،
ولم ترد في المصادر التي بين أيدينا عن حالة قبرة ولكن يبدو أن عمالها
حاولوا الاستقلال فيها وتأرجحت ولاءاتهم بين القوى المجاورة لهم
مثل بني عباد وبني مناد حتى سقوطها بيد المرابطين، Almoravides،
Los سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م^(٢)، ويبدو أن المرابطين دخلوا قبرة أثناء
تقدمهم إلى قرطبة واستيلائهم عليها سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م^(٣).

وعلى الرغم من عدم ورود نصوص مباشرة عن حالة كورة قبرة في
العهد المرابطي إلا أنها على ما يبدو لم تنعم بالهدوء طويلاً بعد دخولها في
حوزتهم وذلك بسبب احتدام حدة الصراع مع الدويلات النصرانية التي
رأت في عبور المرابطين إلى الأندلس تحدياً جديداً لنفوذهما الذي أخذ يتمدد
في شبة الجزيرة الأيبيرية Iberia عقب سقوط طليطلة في أيديهم سنة
٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، وقد خاض الطرفان النصراني الأسباني والمرابطي
الإسلامي معارك عنيفة على أرض الأندلس الإسلامية عانت خلالها

-
- (١) ابن بلقين، التبيان، ص ٥٣؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٤٣/٢.
 - (٢) يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ومؤسس دولتهم التي وطد أركانها،
وكان له دور كبير في فتح بعض مناطق المغرب ومن ثم الأندلس إذ عبر
إليها بجيش كبير بعد استنجد الأندلسيين به، وتمكن من إلحاق هزيمة
كبيرة بقوات مملكة قشتالة بقيادة الفونسو السادس في معركة الزلاقة
سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م، بعدها قام بتوحيد الأندلس تحت حكمه، وتوفي سنة
٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٦٨/٣ - ٤٧٦؛ ابن أبي
زرع، الأنيس المطرب، ص ١٣٦ - ١٥٦.
 - (٣) ابن بلقين، التبيان، ص ١١٠.

المدن الأندلسية مرارة الحروب وويلاتها.

ففي الربع الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر - الميلادي قام ملك أراغون Argon الفونسو الأول المحارب (٤٩٩-٥٢٩ هـ / ١١٠٥-١١٣٤ م) بحملة مدمرة اخترق خلالها الأندلس من شمالها إلى جنوبها، إذ سار بجيشه في أول شعبان سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م من سرقسطة Saragosa إلى مدينة غرناطة في قوة مختارة من أربعة آلاف مقاتل، وساهمت معه القوات الفرنسية بقيادة (جاستون دي بيارن) وعدد من رجال الدين في مقدمتهم أسقف سرقسطة ووشقة Huesca^(١)، وقد تعاهدوا جميعاً وتحالفوا بالإنجيل على أن يفر أحد منهم حتى ينتصروا أو يموتوا^(٢).

وهكذا تحركت الجيوش النصرانية مخترقة الأندلس من شمالها إلى جنوبها حتى عسكروا على غرناطة، ويصف ابن الخطيب الموقف على أبواب غرناطة بقوله: (فبدأ بحث المعاهدة^(٣) بغرناطة في استدعائه، فافتضح تدبيرهم باجتلابه، وهم أميرها بتثقيفهم، فأعياهم ذلك، وجعلوا يتسللون إلى محلته على كل طريق، وقد أهدت جيوش المسلمين من أهل العدو والأندلس بغرناطة، حتى صارت كالدائرة، وهي في وسطها كالنقطة، لما أُنذروا بغرضه، وتحرك من وادي آش فنزل

(١) هي من مدن الثغر الأعلى الأندلسي، وتقع شرقي مدينة سرقسطة إذ تبعد عنها خمسون ميلاً، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦١٢.

(٢) ابن الخطيب، الحلل الموشية، ١/ ٩٠؛ أشباح، تاريخ الأندلس، ١/ ١٥٥.

(٣) المعاهدة هم النصاري الأسبان الذين آثروا الاحتفاظ بدينهم وبقوا في المدن الأندلسية المفتوحة، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/ ٢٣٨.

بقرية دجمة، وصلّى الناس بغرناطة صلاة الخوف، يوم عيد النحر من هذه السنة في الأسلحة والأبّهة، وبعيد الظهر من غده، ظهرت أخبية الرّوم بالقييل شرق المدينة، وتوالى الحرب على فرسخين منها، وقد أجلى السّواد، وتزاحم الناس بالمدينة، وتوالى الجليد، وأظلت الأمطار، وأقام العدو بمحلّته بضع عشرة ليلة لم تسرح له سارحة، إلّا أنّ المعاهدة تجلب له الأقوات، ثم أقلع وقد ارتفع طعمه عن المدينة، لأربع بقين من ذي الحجة عام عشرين، بعد أن تفرّغ مستدعيه إليها، وكبيره يعرف بابن القلاس، فاحتجّوا ببطنه وتلّومته حتى تلاحقت الجيوش، وأنهم قد وقعوا مع المسلمين في الهلكة، فرحل عن قرية مرسانة إلى بيش، ومن الغد إلى السكة من أحواز قلعة يحصب ثم اتصل إلى لدوبيانة، ونكب إلى قبرة واللّسانة، والجيوش المسلمة في أذياله، وأقام بقبرة أياماً، ثم تحرّك إلى بلاي والعساكر في أذياله، وشيخة في فحص الرّيسول مكافحة في أثنائها، مناوشة، وظهورا عليه^(١)، وعلى الرغم من أن الملك الأرغوني لم يستطع تحقيق أهدافه، إلّا أن هذه الحملة كشفت عن ضعف نظم الدفاع في المدن الأندلسية^(٢).

ويبدو أن قبرة ظلت تابعة إلى أمراء البيت المرابطي في قرطبة وكان آخرهم فيها هو يحيى بن علي بن غانية^(٣) حتى سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م

(١) الإحاطة، ٢٣/١؛ ينظر أيضاً: التحلل الموشية، ٦٦/١ - ٦٩.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١١٣/٣؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٥٧.

(٣) ابن الخطيب، الملحة البدرية، ص ٢٠، هو يحيى بن علي بن غانية من قبيلة مسوفة البربرية، وغانية أمّه، كان رجلاً صالحاً عارفاً بالفقه والحديث، ومع هذا كان فارساً شجاعاً، أرسله الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتمكن من توطيد الأمور فيها، فعينه والياً على بلنسية ثم على

حيث دخلت في حوزة الموحدين Almohades, Los^(١)، وعلى الرغم من عدم ورود نص مباشر إلا أن المفاوضات التي جرت بين يحيى بن غانية والموحدين حول تسليم قرطبة لهم كانت في إستجة ثم اتفق الطرفان على أن يسلم ابن غانية قرطبة وقرمونة إلى الموحدين ويخرج هو إلى جيان^(٢)، وجغرافياً فإن قبرة تقع بين قرطبة وقرمونة^(٣) ما يعني أنها دخلت في حوزة الموحدين في سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م.

وفي الحقبة الأولى من العهد الموحي Almohadas لم تشر- المصادر التي بين أيدينا إلى أحداث وقعت فيها أو إلى ولايتها ولعل ذلك مؤشراً على تراجع دورها نظر لتراجع دور قرطبة في العهد الموحي إذ اتخذ الموحدون إشبيلية المقر الرئيسي لحكمهم في الأندلس^(٤)، إلا أن الحدث الأبرز في تاريخ المنطقة في العهد الموحي هو ما حدث بعد هزيمة المسلمين في موقعة العقاب Las. Navas de Tolosa^(٥) سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م، فقد تغير ميزان القوى في الأندلس، ولم يعد في مقدور الدولة الموحدية حماية الثغور الأندلسية من هجمات النصارى^(٦)، إذ استولى

قرطبة، وكانت وفاته في حدود سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ١٩٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠- ٤١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠١/٤

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤١.

(٣) ينظر الخارطة.

(٤) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٧٩.

(٥) وهو موقع يقع بين جيان وقلعة رباح، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٦.

(٦) للمزيد من التفاصيل عن موقعة العقاب، ينظر: المراكشي، المعجب، ص

٢٣٥- ٢٣٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٦- ٤١٧؛ ابن الخطيب،

أعمال الأعلام، ٢/ ٢٧٠؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص ٤١٩ وما بعدها.

النصارى مباشرة بعد ذلك على مدينتي بسطة Baza وباغو^(١)، وهذا ما أكده الحميري بقوله: (ثم استولى الروم بعد ذلك على مدينة بسطة وباغو وما جاورهما من القرى والحصون، وقتلوا الرجال وسبوا الذرية وكانت هذه الواقعة أول وهن دخل على الموحدين، فلم يقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة، ...) ^(٢) أي أن القوات النصرانية وصلت إلى جنوب قرطبة حيث كورة قبرة.

ولكن النصارى لم يتمكنوا من الاحتفاظ بالمناطق التي دخلوها في أعقاب هزيمة المسلمين في موقعة العقاب، ويشير عنان إلى سبب ذلك قائلاً: ولكن مصاعب التموين كانت تتفاقم، وقد سادت الفوضى بين جنود الجيش الظافر، الذين امتلأت أيديهم بالغنائم، ثم كانت الطامة بانتشار الوباء بينهم من جراء اشتداد الحرارة، وتعفن الجثث التي غصت بها تلك الوديان، فارتد الملوك النصارى في قواتهم نحو الشمال، ودخلوا طليطلة عاصمة قشتالة Castilla في موكب ملوكي ضخم، وأقيمت صلوات الشكر ابتهاجاً بالنصر^(٣).

بعد هزيمة الموحدين في العقاب دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال، فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن، وفي الأندلس تحفزت القوى المحلية للانفراد بالسلطة في مختلف المناطق والثورة على الموحدين على نفس الصورة التي جرت في أواخر عهد المرابطين،

(١) ويطلق عليها أيضاً باغة، وهي مدينة أندلسية من كورة البيرة بين المغرب والقبلة منها، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٤؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٢.

(٢) التروض المعطار، ص ٤١٦.

(٣) دولة الإسلام في الأندلس، ٤ / ٣٢٤.

وبخصوص قبرة فقد تأثرت بما جرى من منافسات بين أبناء بني عبد المؤمن، فتولى حكم الدولة الموحدية بعد وفاة الخليفة الناصر (٥٩٥ - ٦١٠ هـ / ١١٩٨ - ١٢١٣ م) ابنه المستنصر بالله^(١) الذي حكم حتى سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م إذ توفي فجأة فبايع أهل مراكش عبد الواحد بن يوسف ابن عبد المؤمن (٦٢٠ - ٦٢١ هـ / ١٢٢٣ - ١٢٢٤ م) بالخلافة فعارض بيعته ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذي كان والياً على مرسية بالأندلس فدعا أشياخ الموحدين إلى بيعته فتم له ذلك في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م وتلقب بالعدل (٦٢١ - ٦٢٤ هـ / ١٢٢٤ - ١٢٢٦ م) وسار إلى إشبيلية وأخذ في تدبير الأمور، فأصبح للدولة الموحدية خليفتين أحدهما في مراكش والآخر في إشبيلية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، ذلك أن ابن عمّ العدل أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي خلع بيعة العدل ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جيان وأبدة Ubeda وبياسة Baeza^(٢)، والراجح أن قبرة قد دخلت هي الأخرى في طاعة البياسي طيلة مدة حكمه، وقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بصورة غير مباشرة بقوله: (قام عبد الله البياسي بالأندلس وكان العدل ولاه قرطبة، فخلع دعوة العدل، وخرج عن طاعة الموحدين، واستعان بالنصارى عليهم ودلهم على عورات تلك البلاد وأدخلهم قيجاطة Quesada^(٣) وغيرها من بلاد المسلمين، فتملكوا الأموال وقتلوا

-
- (١) تولى الخلافة في الدولة الموحدية للمدة ٦١٠ - ٦٢٠ هـ / ١٢١٣ - ١٢٢٣ م)، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٤١ - ٢٤٣.
- (٢) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١.
- (٣) قيجاطة مدينة أندلسية من أعمال مدينة جيان، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨.

الرجال وسبوا الحريم والأولاد، ثم دخل بهم حصن باجة ولوشة وغيرها من الحصون الإسلامية...^(١)، ويلاحظ هنا أن قبرة تقع بين مدينتي قرطبة ولوشة Loja^(٢).

فيما ذكر الحميري أن البياسي استعان بالنصارى للسيطرة على العديد من المناطق جنوب قرطبة ومنها قبرة إذ قال: (كان عبد الله صاحب سياسة من بني عبد المؤمن وهو المعروف بالبياسي استدعى عدو الدين لما نزل عليه العادل ببياسة، فحاصره فأقنع عنه دون شيء، فلما لم يجد في المسلمين كبير إعانة استدعى النصارى فوصلوا إليه، فسلم إلى ألفنش ببياسة وجازى أهلها شر الجزاء، بعد ما آووه ونصروه، فأخرجهم منها وسار مع الفنش ليأخذ معاقل الإسلام باسمه...، وما زال أمره يقوى إلى أن احتوى على قرطبة ومالقة وكثير من معاقل هاتين القاعدتين وبلادهما)^(٣).

ثم قرر البياسي بعد أن فرض سيطرته على معظم مناطق الأندلس الوسطى، أن يستولي على إشبيلية ويقضي على منافسه نهائياً، فخرج بقواته صوبها سنة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م فاستعد الجيش الموحدى للقائه ونشبت معركة هُزم فيها البياسي، ومزق جيشه، وارتد إلى قرطبة الذين ثاروا عليه وقتلوه في نفس السنة أعلاه^(٤).

ولكن اضطراب الأمور في الدولة الموحدية أدى إلى قيام ثورات عديدة في الأندلس لاسيما في وسط وشرق الأندلس، وبقدر ما يتعلق

(١) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١.

(٢) ينظر الخارطة.

(٣) الروض المعطار، ص ١٢٢.

(٤) ابن عناري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٤.

الأمر بقبرة فإن أشهرها تلك التي قادها محمد بن يوسف بن هود الجذامي^(١)

ومحمد بن يوسف بن الأحمر^(٢)، وكان الأول قد ثار على الموحدين سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧ م في شرق الأندلس وسرعان ما تمكن من السيطرة على معظم مناطق الأندلس في الوسط والشرق كما حاول مد نفوذه إلى الغرب الأندلسي وغدا أكبر الثوار الذي سيوحده الأندلس على يديه، وقد علق ابن الخطيب على ذلك بقوله: (وصرح له تملك الأندلس، وأطاعته سبته، وملك رباط الفتح)^(٣)، كما ذكر ابن أبي زرع أنه في سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠ م ملك الأندلس ابن هود ولم يبق للموحدين فيها أمرٌ ولا نهي^(٤)، كما ذكر عنان أن دعوته شملت أيضاً أرجونة Arjona وجيان وبسطة ووداي آش^(٥)، وعلى هذا فإن قبرة كانت ضمن نفوذه.

(١) وهو من سلالة بني هود حكام سرقسطة ملك مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والرية بعد انقراض دولة الموحدين وأعلن الخطبة العباسية، وكانت وفاته سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م، ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٨٨- ٢٨٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٤٦- ٢٥٠؛ = مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٤- ٢٦٦.

(٢) محمد بن يوسف بن الأحمر النصرى من سلالة الصحابي سعد بن عبادة الأنصاري ظهر في أواخر الدولة الموحدية في الأندلس وخضعت له العديد من المعازل الجنوبية ومنها غرناطة، وأخذ سلطانه يتسع بعد وفاة ابن هود، وتمكن من تكوين مملكة له وراثية استمرت حتى نهاية الإسلام في الأندلس، وكانت وفاته سنة ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢ م، ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٢ وما بعدها؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٧- ٢٦٩.

(٣) أعمال الأعلام، ٢/٢٤٨؛ ينظر أيضاً: الإحاطة، ٢/٧٦.

(٤) الأنيس المطرب، ص ٢٧٥.

(٥) دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤١٠.

إلا أن الذي خطف من ابن هود أماله هو ظهور الثائر الآخر من بني نصر وهو محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالغالب بالله الذي يرجع نسب عائلته كسادة على حصن أرجونة^(١) الواقعة على مقربة من نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir، وكان لبني نصر في تلك المنطقة عصبية ووجاهة، فلما اضطرت الأمور في الدولة الموحدية وظهر ابن هود في شرق الأندلس، لاحت لمحمد بن يوسف بن الأحمر فرصة الظهور، فدعا لنفسه وبويع أولاً في أرجونة موطن أسرته وأنصاره وفي المناطق القريبة منها وذلك سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م^(٢).

ومن أرجونة أخذ ابن الأحمر يوسف نفوذه، ففي سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م تمكن من الدخول إلى مدينة جيان وقرطبة وبعض مناطق غرب الأندلس^(٣) ثم أطاعته أهالي مدينتي بسطة ووادي آش^(٤)، وهذا يعني أن قبرة قد أصبحت ضمن مناطق نفوذه، وهكذا قوى أمره وأخذ يتطلع إلى الاستيلاء على القواعد الجنوبية، وأراد أن يستظل بلواء سلطة إسلامية مرموقة، فدعا أولاً للأمير أبي زكريا الحفصي^(٥) صاحب إفريقية، وتلقى منه بعض العون،

(١) بلد ناحية جيان بالأندلس، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٦.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥- ٢٧٦؛ ابن الخطيب، اللوحة البدرية،

ص ٣١؛ ابن خلدون، العبر، ٣٩٥/٦- ٣٩٦.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٤١٥.

(٥) هو أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي بويع له

بالخلافة في الدولة الحفصية سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م وتوفي سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م،

ينظر: ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص ١٢٥- ١٢٧.

ولكنه عاد فخطب للخليفة العباسي المستنصر بالله^(١).

ويبدو أن ابن هود شعر بخطورة هذه الحركة التي يضطلع بها منافسه الجديد، فأخذ يتأهب لمواجهة والقضاء على حركته، كما أن ابن الأحمر كان مستعداً لمواجهة ابن هود لكي يكون هو على رياسة الأندلس، وقد تأهب الطرفان للمواجهة العسكرية، وحشد كل منهما ما استطاع من قواته، وحدث الصدام على مقربة من إشبيلية، وانتهت المعركة بهزيمة ابن هود وانتصار ابن الأحمر سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م^(٢).

إلا أن الأمور قد تغيرت فيما بعد، إذ أدرك الطرفان خطر الحرب فيما بينهما، وأن المستفيد الوحيد من ذلك هم النصارى المتمثلين بمملكة قشتالة، لذا عقدا الصلح بينهما في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م، وكان من نتائج هذا الصلح أن يعترف ابن الأحمر بطاعة ابن هود مقابل أن يقره الأخير على جيان وأرجونة وبركونة Porcuna وأحوازاها^(٣) وقرطبة وقرمونة^(٤) وبالتالي أصبحت قبرة ضمن نفوذه، ولكن سقوط قرطبة بيد النصارى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م^(٥)، دفعت ابن الأحمر إلى الزحف نحو غرناطة ودخلها سنة

(١) تولى الخليفة المستنصر بالله الدولة العباسية للمدة من ٦٢٣ - ٦٤٠

هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٢ م، ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٤ - ٥٤٨.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص ٣١؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٨/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣١/٤ - ٤٣٢.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٦.

(٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٦؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٦/٤.

(٥) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٥.

(٦) ينظر عن سقوط قرطبة: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٩؛ ابن عساري،

٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م واتخذها قاعدة لملكه^(١)، وبذلك غدت المنطقة من جيان إلى غرناطة تحت نفوذه، وقد حدد عنان سلطان مملكة بني الأحمر عند قيامها بقوله: كانت مملكة غرناطة عند قيامها في أواسط القرن السابع الهجري تشمل القسم الجنوبي من الأندلس القديمة، وتمتد فيها وراء نهر الوادي الكبير إلى الجنوب، حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق، ويحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة وإشبيلية، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطئ البحر المتوسط الممتد منها إلى الجنوب، ومن الغرب ولاية قادس Cadiz^(٢).

إلا أن المصادر لم تفصح عن مصير قبرة وملحقاتها، ولما كانت قرطبة قد سقطت بيد النصارى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م وجيان سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م^(٣) وفي السنة نفسها سقطت قرمونة أيضاً^(٤) فالراجح أن قبرة سقطت بيد نصارى قشتالة بين هاتين السنتين لأن قرطبة تحدها من الشمال وجيان من الشرق وقرمونة من الغرب، ويشير عنان إلى أن سقوط مدينة قرطبة كان نذيراً بسقوط معظم البلاد والحصون القريبة منها مثل إستجة، والمدور، وبيانة، وبلاي، ومرشانة، وقبرة، وأشونة، واللسانة، ومورور

البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٣١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٦٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٦٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤١٨/٤ - ٤٢٥.

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٣٤٢ - ٣٤٤؛ ابن خلدون، العبر، ٢١٧/٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٣٠/٤.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس، ٥٥/٥.

(٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٧.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٤٧٦/٤.

وغيرها^(١)، ونحن نرجح أن سقوطها كان في حدود سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م وذلك لأن النصارى بعد استيلائهم على قرطبة سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م عقدوا مع ابن هود هدنة لمدة أربعة سنوات على أن يدفع لهم الأخير مبلغ أربعة آلاف دينار سنوياً^(٢)، ولما انقضت المدة رأى ملك قشتالة فرناندو الثالث (٦١٤-٦٥٠ هـ / ١٢١٦-١٢٥٢ م) أنه في حلٍ من العقد لاسيما وأن ابن هود قد قتل منذ سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م^(٣)، ومما شجعه على ذلك أيضاً هو إقدام منافسه ملك أراغون خايمي الأول (٦١٠-٦٧٥ هـ / ١٢١٣-١٢٧٦ م) على احتلال بلنسية سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م وضمها لدولته^(٤) فلا بد له من القيام بعمل يوازي بلنسية فكانت قبرة، فضلاً عن اتصال أحوازها بأحواز قرطبة يجعل من الضرورة العسكرية السيطرة عليها لتأمين قرطبة.

ثالثاً: الحركة الفكرية في كورة قبرة

دام حكم المسلمين لكورة قبرة حوالي خمسة قرون ونصف تمتعت خلالها المنطقة بالهدوء سوى مدة قليلة أثناء تمرد ابن حفصون في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وكان لخصوبة تربتها

(١) دولة الإسلام في الأندلس، ٤/٢٥؛ ينظر أيضاً: أشباخ، تاريخ الأندلس، ٤٣٤/٣.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٧٦.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدية، ص ٣٤١.

(٤) ينظر عن سقوط بلنسية بيد مالك أراغون: ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٢/٣٠٣؛ ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدية، ص ٣٤٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٧٣؛ الدرويش والعلياوي، برشلونة بين النصرانية والإسلام، ص ١٧٧٠١٨٠.

ووفرة مياهها وانسباط اغلب أراضيها فضلاً عن قربها من العاصمة قرطبة جعلها تزدهم بالسكان من مختلف الشرائح والأديان، فسكنها العرب والبربر والنصارى المستعربون فكانت مثلاً للتعايش السلمي لقرون عدة إذ لم نلاحظ خلال استعراضنا لصفحات تاريخها لصراعات داخلية بين عناصرها، وحتى خلال سيطرة ابن حفصون على بعض أجزائها فإن ذلك كان مؤقتاً وبدون إرادة سكانها.

ومع حالة الاستقرار نبغ فيها العديد من العلماء والمفكرين الذين أسهموا في البناء الحضاري للأندلس، كما جذبت إليها العديد من العلماء الذين فضلوا نزولها والتنعم بهدوئها، وقد نبغ العديد منهم في مجالات علم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب وبعض العلوم العقلية نذكر منهم:

- أحمد بن ثابت بن أبي الجهم الواسطي، يكنى أبا عمر، منسوبٌ إلى واسط قبرة، سكن قرطبة، اهتم بالحديث وروايته، كما وصف بالخير والصلاح، وتوفي سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م^(١).

- أحمد بن محمد بن ربيع بن سليمان بن أيوب الأصبحي، يعرف بابن مسلمة ويكنى أبا سعيد، من أهل قبرة سكن قرطبة، وكان من أهل الرواية، كما عني باللغة والآداب والأخبار، وتوفي سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م^(٢).
- أحمد بن مدرك، من أهل قبرة، قال ابن الفرضي: كان فقيهاً بصيراً بالفتيا^(٣).

(١) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٤.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ص ٢١.

(٣) تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٤.

- أحمد بن هشام بن أمية بن بكير الأموي، يكنى أبا عمر، على الرغم أنه من أهل قرطبة إلا أنه فضل السكن في قرية إختبانة من قرى قبرة، وصف أنه كان من أهل القرآن والعلم والصلاح، وكانت له رحلة إلى المشرق، وعندما رجع إلى الأندلس تولى الإمامة والتدريس والتأديب ويتردد على قرطبة لأجل ذلك، وكانت وفاته سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م^(١).

- أصبغ بن مالك بن موسى، يكنى أبا القاسم، من أهل قبرة ثم سكن قرطبة، اشتهر بالقراءات إماماً بها، وكان عالماً زاهداً، توفي سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م^(٢).

- تمام بن موهب محدث من أهل قبرة قال عنه ابن الفرضي: كان رجلاً صالحاً حافظاً للرأي والمسائل^(٣).

- حبيب بن الوليد بن حبيب بن عبد الله بن عمر بن الوليد بن عبد الملك الأموي، يلقب بدحون ويكنى أبا سليمان، من أهل قرطبة إلا أنه سكن في إحدى قرى قبرة، كانت له رحلة في طلب العلم إلى المشرف أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط، اشتهر برواية الحديث، وكانت له حلقة في جامع قرطبة، وتوفي بقبريته في قبرة في حدود سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م^(٤).

- حكم بن وليد، ذكره ابن الفرضي وقال: محدث روى عن أحمد بن

(١) ابن بشكوال، الصلة، ص ١٩.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٧٤.

(٣) تاريخ علماء الأندلس، ص ٨٧؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٨٣؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٢٥٢.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ٢٢٨/١.

خالد^(١) وغيره^(٢)

- زكريا بن يحيى من أهل قبرة، قال عنه ابن الفرضي كان ممن عني بالعلم حافظاً للمسائل والرأي^(٣).
- زيد بن شريح، من أهل قبرة كان يسكن منها بمنزل أبي هبيرة، كان محدثاً، وصاحب الصلاة في موضعه^(٤) في عهد الأمير عبد الله بن محمد^(٥).
- سعيد بن محمد بن سيد أبيه بن مسعود الأموي البلدي، من أهل بلدة من كورة قبرة، محدث كانت له رحلة إلى المشرق، وكان رجلاً صالحاً كثير الرباط والجهاد^(٦).
- شيبان، هكذا ورد عند ابن الفرضي وقال: من أهل قبرة عني بالعلم روى عن محمد بن وضاح^(٧)، وكان رجلاً صالحاً فاضلاً^(٨).
- عبد الله بن خالد محدث من أهل قبرة قال ابن الفرضي: روى عن

-
- (١) أحمد بن خالد بن عبد الله الجذامي التاجر اشتغل بالعلم والتجارة ورحل إلى المشرق لثناك الغرض، فدخل العراق ومكة ومصر، وكان رجلاً صالحاً صدوقاً توفى سنة ٣٧٨ هـ/ ٩٨٨ م، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٥٦.
- (٢) تاريخ علماء الأندلس، ص ١٠٤.
- (٣) تاريخ علماء الأندلس، ص ١٢٨.
- (٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٣٣.
- (٥) الخلف، نظم حكم الأمويين، ص ٧٥٩/٢.
- (٦) الرضاطي، الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٣٦؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١١٥.
- (٧) محمد بن وضاح بن بزيغ مولى عبد الرحمن الداخل محدث رحل إلى المشرق مرتين في طلب العلم وتوفى سنة ٢٨٧ هـ/ ٩٠٠ م، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٠٥- ٢٠٦.
- (٨) تاريخ علماء الأندلس، ص ١٦٤.

أحمد بن خالد وكان حافظاً للمسائل^(١).

- عبد الله بن خالد بن هاشم الزاهد يكنى أبا محمد من أهل قبرة روى عن محمد بن فطيس^(٢)، وكان رجلاً فاضلاً^(٣).

- عبد الله بن عمرو بن أبي يوسف يكنى أبا محمد من أهل قبرة قال ابن الفرضي: حدث عن محمد بن وضاح^(٤).

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن سيد أبيه، من قبرة ثم سكن قرطبة وتولى أحكام السوق فيها، كما ولي القضاء في غرناطة أيام المرابطين، وتوفي بعد سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م^(٥).

- عبد الله بن يونس بن محمد بن عبّيد الله بن عبّاد بن زياد بن يزيد بن أبي يحيى المراديّ القبري يكنى أبا محمد من أهل قبرة ثم سكن قرطبة، كان محدثاً سمع بقي بن مخلد^(٦) وغيره وتوفي سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م^(٧).

- عبد الواحد بن محمد بن موهب التجيبي القبري، من أهل قبرة، اشتهر بالحديث والفقّه، وله باع في الأدب والخطابة، توفي سنة ٤٥٦ هـ

(١) تاريخ علماء الأندلس، ص ١٩٤.

(٢) محمد بن فطيس بن واصل الغافقي من أهل البيرة محدث كانت له رحلة إلى المشرق ثم عاد إلى الأندلس وحدث بها عن شيوخه، وكانت وفاته سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٩٧.

(٤) تاريخ علماء الأندلس، ص ١٩٧.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ١٥/٣.

(٦) بقي بن مخلد يكنى أبا عبد الرحمن من أهل قرطبة محدث رحل إلى المشرق في طلب العلم ولقي عدد كبير من الشيوخ وصل عددهم إلى ٢٨٤ وجلا، ورجع إلى الأندلس وحمل معه الكثير من المصنفات، وتوفي سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٨٢ - ٨٤.

(٧) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٨٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٤/٢٤.

/ ١٠٦٣ م، ومما يُشَدُّ له قوله:

يَا رَوْضِي وَرِيَاضِ النَّاسِ مُجْدِبَةَ

وكوكبي وظلام الليل قد ركدا^(١)

- عُثْمَانُ بن محمد بن أحمد بن مُدْرِكٍ من أهل قَبْرَةَ، قال ابن الفرضي:
كان مُعْتَنِيًّا بِالْعِلْمِ، حَافِظًا لِلْمَسَائِلِ، عَاقِدًا لِلشُّرُوطِ، وَمُفْتِيًّا أَهْلَ
مَوْضِعِهِ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م^(٢).

- عَلِي بن أبي بكر بن عبيد الكلابي يكنى أبا الحسن ويلقب يوانش
من قبرة، كان صاحب استقامة استدعاه الأمير عبد الرحمن الأوسط
وولاه قضاء قرطبة، وتوفي سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م^(٣).

- مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله القيسي القبري القرطبي المؤدب، من
أهل قبرة إلا أنه تولى التدريس والتأديب في قرطبة، وكانت له رحلة إلى
المشرق، وكان كما وصف صالحاً مؤدباً سمع منه الناس كثيراً، توفي سنة
٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م^(٤).

- مُحَمَّد بن أحمد بن مدرِك من أهل قبرة، قال عنه ابن الفرضي: كان
مفتياً في موضعه (أي في قبرة) معتنياً بالمسائل والرأي^(٥).

- مُحَمَّد بن عمر بن دحون من أهل قبرة، قال عنه ابن الفرضي: كن

(١) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ١٤٤/٨؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب،
٢٣٤/١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٧١/١٣.

(٢) تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٤٣؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جنوة المقتبس،
ص ٣٠٣؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٤١٠.

(٣) الخسني، تاريخ قضاة قرطبة، ص ٨٥؛ ابن الأبار، التكملة، ١٧٢/٣.

(٤) الرشاطي، الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٧٣؛ ابن الخراط، اختصار
اقتباس الأنوار، ص ١٧٧؛ المقرئ، نفع الطيب، ٢١٧/٢.

(٥) تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٢١.

معتنياً بالمسائل وعاقداً للوثائق محباً للخير^(١).

- محمد بن الغازي من أهل قبرة ويعرف بالقبري أيضاً، يكنى أبا

عبد الله، اشتهر بالحديث وروايته، وتوفي سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م^(٢).

- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن حكم بن

سليمان بن الناصر عبد الرحمن بن محمد الأموي، يكنى أبا عبد الله،

ويعرف بالأحمر، اشتهر بالحديث والفقهاء على مذهب مالك، وتوفي بقبرة

سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م^(٣).

- محمد بن موهب بن محمد الازدي القبري المكنى أبا بكر الحصار

من أهل قبرة، له رحلة في طلب العلم، وله نظر في علم الكلام، وكان

من العلماء الزهاد له كتاب في الفقه، توفي سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م^(٤).

- محمد بن يوسف بن سليمان الجهني الخطيب المعروف بالقبري

سكن قرطبة، تولى الخطبة والصلاة في جامع الزهراء أيام الخليفة الناصر

ثم تولى قضاء قبرة حتى توفي بها سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م^(٥).

- مقدم بن معافي القبري، محمد بن محمود القبري وفن

الموشحات^(٦)، اختلف المصادر حول هاتين الشخصيتين هل هما واحد أم

(١) تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٣٩.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٧١/٢؛ معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ص ١٥٣.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٥٧.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٥٢/٢٨.

(٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٦١؛

(٦) يذكر عباس أن سبب هذه التسمية تعود إلى تصور الأندلسيين لهذا النوع

من النظم كرقعة الثوب وفيه خطوط أو سمها أغصاناً تنتظمه أفقياً أو

عمودياً، فالأصل فيه وحدات كبيرة هي الأشطار، وقد جزئت أجزاء صغيرة

أم إثنان، وما علاقتها بفن الموشحات، ذكر ابن بسام قائلاً: محمد بن محمود القبري، كان من أهل قبرة وهو أول ابتكر فن الموشحات في الشعر، وقال: (هي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب، وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفئنا واخترع طريقتها - فيما بلغني - محمد ابن محمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان^(١)، والقبري هذا الذي يعد أول من ابتكر هذا الفن من الشعر في الأندلس يكتنف شخصيته بعض الغموض، فالحميدي قال: هو محمد بن محمود المكفوف القبري أديب شاعر وأورد له بيتين من الشعر^(٢)، وتبعه في ذلك الضبي^(٣)، ويذهب محقق كتاب ابن سناء الملك بقوله: إن مخترعه هو محمد بن حمود القبري الضرير، المولد في مدينة قبره من بلاد الأندلس، وقد عاش هذا الشاعر في نهاية القرن الثالث الهجري، إلا أن المحاولات التي قام بها لم تكن محاولات نهائية^(٤).

فيما ذكر المقرئ أن الذي ابتدع فن الموشحات هو مقدم بن معافي القبري وقال عنه: (كان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي

فأصبحت أشطاراً أصغر من أشطار القصيدة، فهي قد تولدت وتتابعت تتابع النقش، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص ٢٢٠.

(١) الذخيرة، ٤٦٩/١.

(٢) جنوة المقتبس، ص ٩٣.

(٣) بغية الملتبس، ص ١٣٢.

(٤) دار الطراز، ص ١٢ مقدمة المحقق.

القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد الرواني وأخذه عنه ذلك عبد ربه صاحب كاتب العقد ثم غلبها عليه المتأخرون^(١)، وأشار ابن الكتاني أيضاً أن مخترع الموشحات هو مقدم بن معافى القبري^(٢)، وتكلم الحميدي عن مقدم بن معافى وقال: (شاعر معروف في أيام عبد الرحمن الناصر)^(٣)، وهذا يعني أنه فرق بين الاثنين، وتبعه الضبي في ذلك^(٤) إلا أنهما لم يذكر الموشحات، وأكد ابن سعيد صراحة نسبة الموشحات إلى مقدم بن معافى القبري بقوله: (إن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدّم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد الرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد)^(٥).

وأشار الباحث عناني إلى أن مقدم بن معافى القبري تحير في أمره مؤرخو أدب الأندلس فاشترأكه هو ومحمد بن محمود القبري بنسبة (القبري) قد يذهب إلى الظن أنهما واحد فيما ذهب آخرون إلى أنهما اثنان^(٦)، إلا أنه لا خلاف أن قبرة كانت المهد الأول لهذا الفن من الشعر ومنها انتقل إلى بقية المناطق.

- مقلت، هكذا ورد في المصادر، وذكروا أنه من أهل قبرة، محدث

(١) أزهار الرياض، ٢٠٧/٢، ٢٥٣؛ نضح الطيب، ٦/٧.

(٢) التشبيهات من شعراء أهل الأندلس، ص ٣١٢.

(٣) جذوة المقتبس، ص ٣٥٥.

(٤) بغية الملتبس، ص ٤٧٥.

(٥) المقتطف من أزهار الطرف، ص ٢٥٥.

(٦) الموشحات الأندلسية، ص ٧٩ - ٨٠؛ يرجح عباس أن محمد بن محمود

القبري هو المخترع للموشحات، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص ٢٢٨.

سمع من سعيد بن عثمان الاعناقي^(١)، وكانت له رحل إلى المشرق لطلب العلم وتوفي بالعراق، وكان موصوفاً بالخير والفضل^(٢).

- منذر بن الصباح بن عصمة من أهل قبرة كان معتنياً بالحديث والرأي، كما تولى قضاء قبرة، وتوفي سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م^(٣).

- ناصر بن موهب، من أهل قبرة، محدث إلا أنه دون أخيه تمام بن موهب القبري في الحفظ^(٤).

(١) سعيد بن عثمان بن سعيد بن سليمان التجيبي الاعناقي يكنى أبا عثمان من أهل قرطبة، له رحلة في طلب الحديث، وكان عالماً زاهداً بصيراً بالحديث، توفي سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤١٢.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤٠٣؛ الحميدي، جذوة المقتبس،

ص ٣٤٩؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٢٧٣/٤.

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٤١٥.

الخاتمة

تقع كورة قبرة إلى الجنوب من قرطبة وفي الجهة القبلىة منها، وتميزت منطقتها بخصوبة التربة ووفرة المياه فأدى إلى ازدهار الزراعة ورواجها فانتشرت فيها القرى الزراعة التي تزيد على ستائة قرية، وبسبب قربها من قرطبة فقد فضل الكثير من أهالي قرطبة السكنى فيها، فكان سكانها خليط من العرب والبربر والمستعربين والنصارى.

فتحها المسلمون سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م وأولتها حكومة قرطبة اهتماماً خاصاً عن طريق اختيار عمالها من المخلصين لها، وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى استولى ابن حفصون على عدد من مناطقها، وقد وقف الأهالي إلى جانب حكومة قرطبة ضده حتى تمكنوا من التخلص من نفوذه.

وخلال عهد الطوائف كانت كورة قبرة ضمن أملاك بني مناد الصنهاجيين، وخالل العهدين المرابطى والمرابطى قلت أهميتها بسبب تحول الاهتمام إلى إشبيلية ثم غرناطة وتراجع دور قرطبة، وبعد سقوط الأخيرة بسنوات قليلة تمكن نصارى قشتالة بزعامة الملك فرناندو الثالث من السيطرة عليها في حدود سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م بعد أن حكمها المسلمون مدة خمسة قرون ونصف تألقت فيها قبرة لاسيما من الناحية الفكرية كونها المولد الأول لفن الموشحات الأندلسية.

مدينة قيجاطة Quesada
الأندلسية

(٩٢- ٦٢٢هـ / ٧١٠- ١٢٢٥م)

الجغرافية التاريخية لمدينة قيجاطة Quesada

ورد اسم المدينة في المصادر بألفاظ مختلفة بعض الشيء، فجاءت بلفظ قيجاطة^(١)، وقيشاطة^(٢)، وقبحاطة^(٣)، قيجيطة^(٤)، وبنجيطة^(٥)، ويبدو أن الاختلاف في الألفاظ كان لاختلاف النقل من اللغة الإسبانية إلى العربية أو حدوث تصحيف عليها، وقد اندثرت المدينة بعد ذلك وبقي اسمها دالاً على سلسلة من الجبال تنسب إليها تسمى Sierra Quesada^(٦).
تعد قيجاطة من عمل جيان Jaen^(٧)، وقد أشار إلى ذلك الحميري

-
- (١) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨.
 - (٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٩.
 - (٣) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١١.
 - (٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ/ ٧٦٩ - ٨٤٦ م)، ص ٩٤.
 - (٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٠/٢.
 - (٦) ابن حيان، المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ/ ٧٦٩ - ٨٤٦ م)، ص ٤٦٨ التعليق (٩) لمحمود علي مكي.
 - (٧) كورة بالأندلس بينها وبين بياسة ستون ميلاً وبينها وبين قرطبة خمسون ميلاً، ميلاً، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨.
 - (٨) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢١١.

بقوله: ((مدينة بالأندلس من عمل جيان، ..))^(١)، وتحدث أبو الفدا عن ذلك بقوله: ((...، وكان من أعمال جيان مدينة قيجاطة، ..))^(٢). كما تحدث شيخ الربوة عن كورة جيان وأعمالها بقوله: ((كورة جيان وتسمى قنشرين وقصبتها مدينة الحاضرة، ..، ولها من الأعمال بياسة^(٣) وأبدة^(٤)، وقيجاطة..))^(٥). وقد عدها مؤلف مجهول من مدن متوسطة الأندلس بقوله: ((وأما مدن المتوسطة مثل شريش^(٦) وقرمونة^(٧) وبسطة^(٨) وطليطلة^(٩) وأبدة

(١) الروض المعطار، ص ٤٨٨.

(٢) تقويم البلدان، ص ١٧٧.

(٣) مدينة أندلسية تعد من أعمال جيان إذ تبعد عنها عشرون ميلاً، وهي ذات أسوار وأسواق ومتاجر، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦.

(٤) وتعرف أيضاً أبدة وهي مدينة أندلسية من أعمال جيان، وتقع بالقرب من بياسة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٧٥/٢؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٦٧.

(٥) نخبة الدهر، ص ٣٢١.

(٦) مدينة أندلسية من أعمال كورة شذونة تبعد عن إشبيلية مرحلتان، ينظر: ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٧٢/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٥٩.

(٧) مدينة أندلسية تقع شرق إشبيلية إذ تبعد عنها عشرون ميلاً، ينظر: ياقوت، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢٥.

(٨) مدينة بالأندلس تقع بالقرب من وادي آش بينها وبين جيان ثلاث مراحل، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١١٣.

(٩) مدينة بالأندلس كانت قاعدة ملوك القوط الغربيين، وهي حصينة ولها أسوار عدة، وتقع على نهر تاجة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩ - ٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣.

وبياسة وباجة^(١) وقيجاطة...^(٢))).

وتقع مدينة قيجاطة إلى الجنوب الشرقي من جيان وشهالي شرقي مدينة بسطة Baza وجنوبي شرقي مدينة أبذة Ubada^(٣)، وهذه المنطقة هي عبارة عن حصون متصلة بعضها ببعض وصفها الإدريسي بقوله: ((...))، فمن ذلك أن شرقي جيان وقبالة بياسة حصناً عظيماً يسمى شوذر^(٤) وإليه ينسب الخلاط الشوذري ومنه في الشرق إلى حصن طوية^(٥) اثنا عشر ميلاً ومنه إلى حصن قيشاطة...^(٦))) وحصن قيجاطة يتوسط مدن جنوبي شرقي قرطبة Cordoba، إذ حدده الإدريسي بقوله: ((...)) وبين جيان وهذا الحصن - أي قيجاطة - مرحلتان^(٧) ومنه إلى وادي آش^(٨) مرحلتان ومنه إلى إلى أغرناطة^(٩) مرحلتان ومن وادي آش المتقدم ذكرها إلى أغرناطة أربعون

(١) مدينة أندلسية قديمة تقع غرب البلاد، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٧٥.

(٢) تاريخ الأندلس، ص ٤٥.

(٣) ينظر الخارطة.

(٤) مدينة بالأندلس بين غرناطة وجيان، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٧٨.

(٥) وهو أحد الحصون الواقعة شرق جيان بين شوذر وقيشاطة، ينظر: الإدريسي، الأندلس، نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢.

(٦) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢.

(٧) المرحلة تساوي أربعة وعشرين ميلاً، ينظر: الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ٥٢٢/١، والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥.

(٨) وتعرف بمدينة الأشات من كورة البيرة بالأندلس بينها وبين غرناطة أربعين ميلاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٣٢ - ٣٣.

(٩) وهي من أقدم مدن كورة البيرة بالأندلس تقع على نهر حدارة ثم خريت

مياً^(١).

اشتهرت مدينة قيجاطة بأنهارها، ومنها نهر الوادي الكبير Rio Guadalquivir، وقد أشار إلى ذلك الزهري بقوله: ((... ينبعث من هذا الجبل بالموضع المسمى بفتح الديلم المشرق على كورة قيجاطة، يخرج من عين هناك، ويسمى بالوادي الكبير من أول خروجه إلى وقوعه في النهر...))^(٢).

إن توفر المياه بوجود نهر الوادي الكبير، قد ساعد على قيام زراعة نشطة في مدينة قيجاطة، وجعل أرضها جميلة وخصبة، وهذا ما أوضحه أبو الفدا بقوله: ((... مدينة قيجاطة وهي مدينة نزهة كثيرة الخصب،...))^(٣)، وتحدث عن ذلك أيضاً ابن سعيد بقوله: ((قيجاطة مدينة نزهة في نهاية الحسن والخصب، كانت الولاية تتردد عليها من جيان...))^(٤).

وعن نشاطها الاقتصادي ذكر الإدريسي أن ((قيشاطة وهو حصن كالمدينة له أسواق وربض عامر وحمام وفنادق وعليه جبل يقطع به من الخشب الذي تحرط منه القصاع والمخابئ والأطباق وغير ذلك ما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب أيضاً وهذا الجبل يتصل ببسطة))^(٥)، كما أشار إلى ذلك الحميري بقوله: ((... وفي قيشاطة أسواق وربض

البيرة وحلت محلها غرناطة بينها وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً، ينظر: ياقوت،

الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(١) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢.

(٢) كتاب الجغرافية، ص ٩٧ - ٩٨.

(٣) تقويم البلدان، ص ١٧٧.

(٤) المغرب في حلى المغرب، ٦٣/٢.

(٥) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢.

عامر وفنادق، وعليه جبل يقطع به من الخشب الذي تخرط منه القصاع والأطباق وغير ذلك مما يعم بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب،...))^(١).
إن هذا النص يوضح أهميتها الاقتصادية حيث تعد قيجاطة وجبلها المشرف عليها مركزاً لإنتاج الأخشاب التي تدخل في العديد من الصناعات ذات الاستخدام المنزلي كالقصاع وهي أواني الطعام الضخمة التي تشيع العشرة^(٢)، والطباق وهي أيضاً أواني الطعام أو ما يوضع عليه الطعام^(٣) والمخابئ من الخابية وهي الجرار الكبيرة^(٤)، ومن هنا جاءت أهمية هذه الأخشاب التي تنتج من أشجار جبل قيجاطة، ونظراً لسعة استعمال هذه الأخشاب بسبب استخداماتها المنزلية لذا راجت تجارتها فكانت تُصدر من قيجاطة إلى أنحاء الأندلس والمغرب، وقد ترتب على تجارتها أن أصبحت مدينة قيجاطة يؤمها التجار من مختلف المناطق مما تطلب وجود الحملات والفنادق فيها، وهو ما أوضحه نص الإدريسي والحيمري أعلاه.

(١) الروض المعطار، ص ٤٨٨.

(٢) الزيبيدي، تاج العروس، ١٧/٢٢ (مادة قصع).

(٣) الزيبيدي، تاج العروس، ٥٠/٢٦ (مادة طبق).

(٤) الزيبيدي، تاج العروس، ٢٠٧/١ (مادة خبأ).

التاريخ السياسي لمدينة قيجاطة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة إلى كيفية وتاريخ فتح مدينة قيجاطة، وربما كونها فتحت أثناء فتح المسلمين لكورة جيان كونها من توابعها، فبعد انتصار المسلمين بقيادة طارق بن زياد على ملك القوط الغربيين Visigoths لودزيق في معركة وادي لكة Rio Guudalete في شوال من سنة ٩٢ هـ/ ٧١٠م سار طارق شمالاً نحو طليطلة Toledo عاصمة القوط الغربيين وترك فرقاً من قواته لفتح ما تبقى من المناطق التي تجمع فيها القوط وهي قرطبة^(١) والبيرة Elvia^(٢) ومالقة Malaga^(٣) وتدمير Tudmir^(٤)، وتمكن المسلمون من فتح هذه المناطق بأكملها^(٥).

- (١) وهي قاعدة بلاد الأندلس وأهم مدنها لحقبة طويلة كونها دار ملك بني أمية هناك وبينها وبين البحر مسيرة خمسة أيام، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ - ٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥٦ - ٤٥٩.
- (٢) كورة بالأندلس تقع بالقرب من قرطبة وتتصل بأحواز قبيرة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٤؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٠٢.
- (٣) مدينة أندلسية تقع على شاطئ البحر وتعد من كبار حواضر الأندلس، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٧.
- (٤) مدينة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان وتقع شرقي قرطبة، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٣؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥ - ١٦.
- (٥) للمزيد من التفاصيل حول هذه الفتوحات ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩ - ٢٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٤٧ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢؛ المقري، نفح الطيب، ١/٢٦٤ - ٢٦٥.

أما كورة جيان الواقعة إلى الشرق من قرطبة والتي يمر بها الطريق الروماني القديم والذي يدعى هانيبال، فإن طارقاً بعد أن عبر نهر الوادي الكبير تقدم شمالاً سالكاً ذلك الطريق، وقد أشار المقرئ إلى ذلك بقوله: إن طارق بعد بعثه بعضاً من جيوشه إلى مناطق شرق الأندلس ((سار هو في معظم الناس إلى كورة جيان يريد طليطلة))^(١)، وهذا يعني أن جيان وتوابعها بما فيها مدينة قيجاطة قد فتحت على يد طارق بن زياد وهو في طريقه إلى طليطلة.

والراجح أن ذلك كان في أواخر سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط الغربيين كانت كما قال المقرئ: ((يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعد تامة ثمانية أيام))^(٢) وكان فتح قرطبة في شوال من السنة نفسها^(٣)، ووصل إلى مدينة طليطلة في أوائل سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م^(٤)، وهذا يعني أن دخول جيان وتوابعها بما فيها مدينة قيجاطة تحت سيطرة المسلمين قبل هذا التاريخ، أي خلال المدة بين شوال وذو الحجة من سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م.

لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى معلومات كافية عن القبائل العربية أو البربرية التي سكنت قيجاطة بعد الفتح الإسلامي، إلا أنها أشارت بأن أغلب من نزل هم من القبائل العربية^(٥)، والراجح أن بعضاً منها

(١) نضح الطيب، ٢/٢٦١.

(٢) نضح الطيب، ١/٢٥٩.

(٣) المقرئ، نضح الطيب، ٣/١٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٤.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن القبائل العربية التي سكنت جيان ينظر: ابن=

انتشروا في توابعها ومنها قيجاطة، فقد أشارت المصادر فيما بعد إلى العديد من الشخصيات العربية انتسبوا إليها لاسيما من قبيلة لخم العربية^(١) والازد^(٢) وغافق^(٣).

ويبدو أن التركيبة السكانية في كورة جيان قد أثر على أوضاعها السياسية، إذ كان معظم سكانها من العرب، وهذا بدوره قد شكل قطب الرحي في الصراع القبلي الذي نشب بين القبائل العربية القيسية واليمانية بحكم أن زعيم القيسية في كورة جيان هو الصميل بن حاتم^(٤)، فبجهد عرب جيان من جند قنسرين تمكنت القيسية من إلحاق هزيمة باليمانية بالقرب من مدينة قرطبة سنة ١٢٤ هـ/ ٧٤١ م^(٥)، كما لعب موالي بني أمية

= القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٥ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٩٢، ٢٤٦، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٢، ٤١٩، ٤٥٠، ٤٥٥ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢.

(١) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٥٠١/٢.
(٢) ابن الأبار، التكملة، ١٤٨/٢ ؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار، ص ٣٤٧ ؛ المستلح من كتاب التكملة، ص ١٥٠.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٢٤/١٤، ٤٦٨ ؛ المستلح من كتاب التكملة، ص ١٨٣.
(٤) هو أبو غسان الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلبي، كان جده شمر من أشرف عرب الكوفة وهو أحد المشاركين في قتل الإمام الحسين عليه السلام، ودخل الصميل الأندلس مع طالعة بلج القشيري وترأس القيسية بها وكانت وفاته سنة ١٤٢ هـ/ ٨٥٩ م، ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٦٧/١ - ٦٨.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن الصراع بين القبائل العربية القيسية واليمانية ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢١٠ وما بعدها ؛ أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ٥٨ - ٦٢ ؛ العبودي، الأحوال السياسية والعلمية في مدينة البيرة، ص ٥٧ - ٦٢.
(٦) لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ٤٤ - ٤٩ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٦ وما بعدها ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢١٣ وما بعدها.

دوراً كبيراً في التمهيد لدخول عبد الرحمن بن معاوية (الأول) إلى الأندلس، وبعدها انهزم الصميل بن حاتم من قرطبة على أثر دخول عبد الرحمن الأول إلى الأندلس واتجه إلى جيان يستصرخ سكانها ومن فيها من القبائل القيسية^(١).

إن من أوائل الأحداث المهمة التي حدثت في مدينة قيجاطة هو الصراع بين الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦ هـ/٧٩٦-٨٢١ م) وعمه سليمان بن عبد الرحمن الأول إذ رفض الأخير الاعتراف بحكم ابن أخيه، ففي سنة ١٨٢ هـ/٧٩٨ م جال في بلاد الأندلس لجمع الأتباع والتحشيد ضد الأمير الحكم، وقد وجد في كورة جيان بعض المؤيدين له من عرب الكورة، وقد اتخذ من مدينة قيجاطة منطلقاً لحركته وتمكن من الاستيلاء على جيان والبرية واتجه نحو قرطبة إلا أن قوات الأمير الحكم تمكنت من هزيمته^(٢).

وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((فلما اجتمع لأبي أيوب - سليمان - ما أراد أقبل يريد قرطبة، وبلغ خبره ابن أخيه الحكم، فجمع جيشه وخرج يستقبله، دافعاً له عن قرطبة فالتقيا بقيجاطة ودارت بينهما حروب شديدة ظهر فيها الأمير الحكم عليه، فهزمه هزيمة قبيحة، وقتل كثيراً من رجاله، وغنم عسكره، فمضى سليمان مفلولاً مترجلاً متجولاً في البلدان...))^(٣).

إلا أن سليمان لم يستكن بعد خسارته المعركة، ولعله وجد من عرب

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٨٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٠/٢؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٣) المقتبس (للحقبه ١٨٠-٢٣٢ هـ/٧٦٩-٨٤٦ م)، ص ٩٤-٩٥.

القيسية في قيحاظة من يسانده ويعاضد قضيته، ولهذا بعد هزيمته رجع إلى قيحاظة، وهو مادفع الأمير الحكم إلى تتبعه إلى هناك، فالتقى الطرفان في قيحاظة في السنة نفسها (أي ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م) وتكلفت المعركة بانهزام سليمان، وقد تحدث ابن حيان عن ذلك بقوله: ((...))، ودارت بينهما حروب شديدة، انهزم فيها سليمان، وغادر أثقاله وسواد عسكره، فغنمها رجال الحكم، ثم عادوا الالتقاء بقيحيطة أيضاً في ذي الحجة من هذه السنة، فانهزم سليمان أيضاً أشد من هزيمته الأولى))^(١).

وبعد عهد الأمير الحكم بن هشام لم تتحدث المصادر التي بين أيدينا عن الدور السياسي والعسكري لمدينة قيحاظة حتى العهد الموحدى Almohadea, Los^(٢)، ويبدو ذلك راجع إلى أن أحداث كورة جيان قد طغت على أحداث قيحاظة باعتبار أن الأخيرة تابعة لها، لذلك تركز الاهتمام على جيان بدلاً من توابعها، وللتدليل على ذلك أن عمر بن حفصون^(٣) الذي ثار في إقليم رية Ryya في النصف الثاني من

(١) المقتبس (للحقبه ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٦٩ - ٨٤٦ م)، ص ٩٨.

(٢) قامت دولة الموحدين على إثر حركة دينية ظهرت في بلاد المغرب تزعمها محمد بن عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي الذي ينتمي إلى قبيلة مصمودة البربرية، وسعى الموحدون إلى إنهاء حكم المرابطين في المغرب والأندلس، وفعلاً تمكنوا من ذلك إذ دخلوا عاصمتهم مراكش سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م وأحكموا سيطرتهم عليها ثم عبروا إلى الأندلس، نزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٢٠ وما بعدها؛ المراكشي، المعجب، ص ١٤٣ - ١٤٩؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٧٢ وما بعدها.

(٣) هو عمر بن حفص المعروف بحفصون، بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذيبان بن فرغلوش بن أذفونش، من مسلمة الذمة، من كورة تاكرنا من عمل رندة، وكان الذي أسلم منهم جعفر بن شتيم، ففشا نسله في الإسلام، كان له من الولد الذكور عمر وعبد الرحمن، فولد عمر بن جعفر حفصاً، وولد حفص =

القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي امتدت سلطته لتشمل معظم القواعد جنوبي قرطبة مثل البيرة واستجة Ecija وجيان وباغة Priego وقبرة Cabra وأرشدونة Archidona ومالقة حتى لم يبد حكومة قرطبة سوى العاصمة وبعض أحوازها^(١) لم تشر المصادر إلى استيلائه على قيجاطة واكتفت بذكر جيان وتوابعها على الرغم من أن هذه المناطق كانت كلها تحت سيطرته^(٢).

إلا أننا لا نستبعد أن مدينة قيجاطة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة، فلم تكن هناك أحداث مهمة فيها تسترعي الانتباه، إلا أنه مع ظهور الموحدين على الساحة السياسية بدأ اسمها يظهر من جديد بفعل الأحداث المهمة بها والتي لا يمكن تخطيها، إذ تمكن ابن مردنيش^(٣) المتمرد

= (حفصون) هذا عمر الثائر على الأمير محمد أولاً، بحصن بريشتر وهي أمنع قلاع الأندلس قاطبة، واتصلت أيامه في ظهور وعزة حتى قضى عليه الأمير عبد الرحمن الثالث سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٦/٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٠٦/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢ - ٤٥؛ ابن خلدون، العبر، ١٧٢/٤ - ١٧٤.

(١) ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣١٨/١، ٣٢٠، ٣٢٧.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٢٤/١، ٣٧٦.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش، وذكر ابن الأبار أن ابن مردنيش جذامي، وأشار ابن حزم إلى أن بعض بطون جذام سكنت الأندلس، وينفي فرانسيسكو كوديرا نسبه العربي ويرجح أنه يعود إلى الجالية البيزنطية التي كانت في الأندلس قبل الفتح، وقد تمكن من بسط نفوذه على شرق الأندلس وحاول الوصول إلى غرناطة إلا إنه اصطدم بالموحدنين الذين هزموه عدة مرات، فلما أحسّ في نفسه الضعف صالح خليفة الموحدنين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وزوج ابنته صفية إلى يعقوب بن يوسف الموحدي، وزوج ابنته الثانية زائدة إلى يوسف بن عبد المؤمن، وتوفي سنة ٥٦٧ هـ/ ١١٧١ م، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ١٧٦ - ١٧٧ =

على الحكم الموحي من الاستيلاء على مناطق الشرق الأندلسي، وأصبحت مدينة قيجاطة ضمن نفوذه، ومن أجل استرداد هذه المدينة جهز الخليفة الموحي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠ هـ / ١١٦٢ - ١١٨٤ م) حملة عسكرية سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م ضد ابن مردنيش، وفعلاً تمكنوا من الدخول إليها بعد قتال شديد، وقد أشار إلى ذلك بن أبي صاحب الصلاة بقوله: ((...)) فتحركوا من إشبيلية^(١) بجمعهم الموفور المنصور إلى مدينة قرطبة وفي صحبتهم إبراهيم بن همشك^(٢) في أول شهر رجب الفرد من سنة ست وستين المؤرخة، فلما وصلوا قرطبة أقاموا فيها أياماً ونهذوا على تصميم الخير بعزمهم في غزوهم فأول مدينة نزلوها من بلاد ابن مردنيش مدينة قيجاطة، ففتحها الله تعالى بعد قتال ونزال...^(٣).

-
- = ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٣٢ وهامش (١) ص ٢٣٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/١٢٢-١٢٧؛ جابر، بنو مردنيش، ص ٨٥-٩٨.
- (١) مدينة أندلسية بناها يوليوس قيصر تبعد عن قرطبة ثمانون ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٥٨؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٧٤، ١٧٥.
- (٢) هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك أسلم جده على يد أحد أمراء بني هود، وعندما اضطرت الأحوال في أواخر عهد المرابطين اتصل بأمير شرق الأندلس محمد بن مردنيش وصاهره على ابنته، وقاد الجيوش معه وكان شجاعاً شديداً حاد البأس، وفي سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م دخل غرناطة وهزم الموحيين في معركة مرج الرقاد ومثل بهم، ثم إن علاقته ساءت بابن مردنيش بعد أن طلق ابنته انضم ابن همشك إلى الموحيين نكاية بصهره واستمر في ولائه لهم حتى وفاته بعد سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م، ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٤١٢-٤١٦، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٢٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢/٥٢، ٢٥٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١/١٥١ - ١٥٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣/٣٦٨-٣٦٩.
- (٣) تاريخ المن بالإمامة، ص ٤٢٨؛ ولزيد من التفاصيل ينظر: المراكشي، المعجب، ص ١٧٦ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيين، ص =

بعد ذلك أصبحت مدينة قيجاطة من مناطق نفوذ الموحدين، وقد ولى عليها الخليفة الموحدى أبى يعقوب إبراهيم بن همشك وبقي فيها حتى وفاته سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م^(١).

استمرت مدينة قيجاطة تحت الحكم الموحدى، إلا أنه في نهاية عهدهم تعرضت المدينة لعدة أحداث على أثر اضطراب الأوضاع السياسية داخل الأسرة الموحدية، فبعد وفاة الخليفة الموحدى المستنصر (٦١٠-٦٢٠ هـ / ١٢١٣-١٢٢٣ م) بايع أهل مراكش عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٢٠-٦٢١ هـ / ١٢٢٣-١٢٢٤ م) فعارض بيعته ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذى كان والياً على مدينة مرسية Murcia^(٢)، وقد دعا الأخير أشياخ الموحدين إلى بيعته فتم له ذلك سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م، وتلقب بالعدل (٦٢١-٦٢٤ هـ / ١٢٢٤-١٢٢٦ م)، وسار إلى مدينة إشبيلية Sevilla وأخذ في تدبير حكمه، فأصبح للدولة الموحدية خليفتين أحدهما في مراكش والآخر في إشبيلية، إلا أن الأمور لم تنتهي إلى هذا الحد، ذلك إلى أن ابن عم العادل أبو محمد عبد الله بن محمد ابن يوسف بن عبد المؤمن خلع بيعة العادل ودعا لنفسه خليفة للموحدين، ومما عزز ذلك طاعة أهل جيان وأبذة وبياسه Baeza له، ولقب بالبياسي لأنه اتخذها مقراً له، وأرسل إلى ملك قشتالة Castella فرناندو الثالث Fernando III (٦١٤-٦٥١ هـ / ١٢١٧-١٢٥٢ م) يطلب الخضوع

= ١١٢- ١١٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٦٢- ٢٦٣؛ عنان، دولة

الإسلام في الأندلس، ٤/٤٨- ٥١؛ جابر، بنو مردنيش، ص ١٤٧- ١٤٨.

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ١/١٢٦- ١٢٧.

(٢) وهي إحدى مدن شرق الأندلس، ومن مدن كورة تدمير بناها الأمير عبد الرحمن الثاني واتخذها داراً للعمال، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٩.

والطاعة له مقابل مساعدته في التصدي للجيش الموحد، وتمكن فعلاً من مهاجمة القوات الموحدية في مدينة بياسة وتمكن بمساعدة النصارى من هزيمتهم^(١).

وأدرك البياسي أن موقفه قد قوي بمساعدة ملك قشتالة له وتيقن من ضعف قوات الخليفة العادل بسبب انهزام جيش الأخير، فسار البياسي مع الملك القشتالي من أجل السيطرة على بقية المدن والمعقل الإسلامية فكانت وجهتهم مدينة قيجاطة، واخترق الملك فرناندو الثالث أراضي مدينة أبذة قاصدها^(٢)، ويبدو أن ملك قشتالة كان يدرك أهمية مدينة قيجاطة بالنسبة إلى المدن الأخرى فأخذ يتقدم بقواته، ونظراً لعدم وجود منفذ لدخولها بسبب حصانتها، عمل فرناندو الثالث على القفز على إحدى الجدران التي كان عليها أحد الحراس، فتمكن من ضرب الحارس ضربة قوية على رأسه فقتله في الحال وفتح بوابات المدينة لجيوشه وذلك سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م^(٣).

ومن خلال ذلك يمكن أن نستنتج أن البياسي وحلفائه النصارى قد واجهوا مقاومة عنيفة من قبل أهالي مدينة قيجاطة، بدليل أن الأهالي أغلقوا الأبواب وقرروا المقاومة ولم يتمكن المهاجمون من الدخول إليها إلا بعد اقتحام الأسوار والأبراج الموجودة فيها.

وبعد اقتحام المدينة تمكن البياسي وحلفائه النصارى من قتل أعداداً

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس،

٣٥٢/٤ - ٣٥٣.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٣٥٧/٤.

(٣) المالكي، حركة البياسي وآثارها على الأندلس، ص ٦٩ - ٧٠.

كبيرة من أهالي المدينة وأسروا الكثير منهم^(١)، وقد وصف Doval الملك القشتالي فرناندو الثالث بأنه كان كالأسد الهائج الذي يريد أن يحقق نذراً في أثناء دخوله لمدينة قيجاطة^(٢)، وهذا يعني أنه مارس أشنع أنواع الشدة والتنكيل بأهالي المدينة، ولم يسلم أحد منهم حتى رجال العلم والزهد، فكان من ضمن الذين أسروا القاريء أبا عمرو الغافقي^(٣)، وقد تحدثت المصادر عن الأعمال الوحشية التي مارسها النصارى عند دخولهم قيجاطة، فقد أشار الحميري إلى ذلك بقوله: ((...))، وسار مع الفتنس ليدخل معاقل الإسلام باسمه، فدخل قيجاطة هذه بالسيف وقتل العدو فيها خلقاً وأسّر آخرين، وكان حديثها شنيعاً تنفر منه الأسماع والقلوب،...))^(٤).

كما أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله: ((...))، واستعان – أي البياسي – بالنصارى عليهم ودلهم على عورات تلك البلاد وأدخلهم قيجاطة وغيرها من بلاد المسلمين فتملكوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا الحريرم والأولاد،...))^(٥).

وبذلك غدت مدينة قيجاطة مدينة مدمرة بعد أن كانت جنة من جنات الأندلس زاخرة بالثروات والأموال والخيرات^(٦)، إلا أنه في ليلة

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨.

(2) Ferando III ataves de las cronicas mefievales, p 51

المائكي، حركة البياسي وآثارها على الأندلس، ص ٧٠.

(٣) سيأتي ترجمته عند الحديث عن الحركة الفكرية.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٢٤/١٤.

(٥) الروض المعطار، ص ٤٨٨.

(٦) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١ وجعل ابن عذارى هذه الأحداث سنة

٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م.

(٧) ابن سعيد، اختصار القدح، ص ٢١١.

وضحاها تحولت إلى مدينة مهدمة الأسوار محطمة الحاميات قاحلة وخالية أذلة أهلها، وقد وصف ابن سعيد هذه الحالة المأساوية التي حلت بقيجاطة بقوله: ((وقد تركها عباد الصليب أفقر من جوف العير^(١)))^(٢)، وقد رثاها أبو المعالي القلطي أحد الشعراء من أهلها ممن عاصر تلك الأحداث بقصيدة تدمع لها العيون^(٣).

ويبدو أن البياسي أعطى مدينة قيجاطة في السنة نفسها، أي سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م إلى النصاري مقابل الوقوف إلى جانبه ضد أبناء جلدته الموحدين، وهذا ما أشار إليه ابن أبي زرع بقوله: ((وفي سنة اثنتين وعشرين قام السيد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن البياسي ببياسة ودعا لنفسه، وفيها أعطى البياسي بياسة وقيجاطة للنصاري...))^(٤).

لم يستكن المسلمون بعد سقوط مدينة قيجاطة سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م، إذ حاولوا استرجاعها من القشتاليين، ففي عهد دولة بني الأحمر (٦٣٥ - ٨٩٧ هـ / ١٢٣٧ - ١٤٩١ م) حاول سلطان غرناطة Granada محمد الثاني المعروف بالفقيه (٦٧١ - ٧٠١ هـ / ١٢٧٢ - ١٣٠١ م) استرجاعها، ففي سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م زحف بقواته نحو أراضي مملكة قشتالة، وغزا

(١) يقال للمكان الذي لا خير فيه هو كجوف العير، لأن جوف العير لا ينتفع مما فيه، ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، ١/٢٥٧؛ السخاوي، سفر السعادة، ١٠١٢/٢.

(٢) اختصار القدح، ص ٢١١.

(٣) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٦٤/٢، وينظر الأبيات وترجمة الشاعر أبي المعالي أحمد القلطي مبحث الحركة الفكرية من البحث.

(٤) الأنيس المطرب، ص ٢٧٣.

منطقة جيان الخاضعة لهم، وتمكن من الاستيلاء على مدينة قيجاطة وعلى عدد من الحصون التابعة لها، وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك بقوله: ((...))، وفي شهر المحرم من عام خمسة وتسعين وستمائة، على تفتنة هلاك طاغية الروم، شانجه بن أذفونش^(١)، عاجل الكفار حين دهشهم، فحشد أهل الأندلس، واستنفر المسلمين، فاغتنم الداعية، وتحرك في جيش يجر الشوك والشجر، ونازل مدينة قيجاطة وأخذ بكظمها، ففتحها الله على يديه، وتملك بسببها جملة من الحصون التي ترجع إليها، وكان الفتح في ذلك عظيماً، وأسكنها جيشاً من المسلمين، وطائفة من الحامية، فأشرفت العدو بريقه^(٢).

ويبدو أن المسلمين لم يستمروا طويلاً في مدينة قيجاطة إذ انسحبوا بعد مدة وجيزة بعد أن حققوا أهدافهم في مباغته عدوهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن بقاءهم في قيجاطة ربما يشكل خطورة على قواتهم لأن المنطقة خاضعة لمملكة قشتالة وبالتالي معرضة لهجماتهم، وفعلاً عادت قوات مملكة قشتالة مرة أخرى في عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل الأول (٧١٣-٧٢٥ هـ/ ١٣١٣-١٣٢٤ م) في مهاجمة الحدود الشمالية لدولة بني الأحمر، ففي سنة ٧١٦ هـ/ ١٣١٦ م هاجمت قوات ملك قشتالة عدد من الحصون الواقعة جنوب قيجاطة وشمال مدينة

(١) هو ملك قشتالة الذي يعرف بشانجة الرابع Sancho IV (٦٨٣- ٦٩٥ هـ / ١٢٨٤- ١٢٩٥ م)، ولقب نفسه بالشجاع، ينظر: الحسيناوي، قشتالة، ص ١٠٥.
(٢) الإحاطة، ٣٢٩/١؛ وينظر أيضاً: اللوحة البديرية، ص ٤١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ٥١٥/٥؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١١٠/٥؛ العيادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٤٠٦-٤٠٧.

بسطة ومنها حصن طشكر^(١) وتمكنوا من السيطرة عليه بعد أن هزموا المسلمين فيها، وقد علق ابن الخطيب على ذلك بقوله ؛ ((...))، وظهر العدو بعدها على حصن قنيل - أو قنبيل - وحصن متمانس وحصن نجيح وحصن طشكر وحصن روط^(٢)، وهذا يعني أن القشتاليين قد تمكنوا من استعادة قبجاطة من المسلمين قبل هذا التاريخ.

(١) وهو حصن حصين في كورة جيان بالأندلس لا يرقى إليه إلا بسلازم، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٠.
(٢) اللمحة البدرية، ص ٧١ - ٧٢؛ الإحاطة، ٢٠٨/١.

الحركة الفكرية في مدينة قيجاطة

حكم المسلمون مدينة قيجاطة أكثر من خمسة قرون أقاموا خلالها حضارة شاحخة تألفت فيها إسهامات أهلها في معظم الميادين ولاسيما السياسية والاقتصادية والفكرية، وقد مرّ الكلام عن دور أهلها السياسي والاقتصادي، كما أسهموا في رفق الحركة الفكرية في قيجاطة والأندلس عامة، وبرع العديد منهم في مجالات علم القراءات، والحديث، والفقه، واللغة، والأدب والشعر، والتاريخ، والكلام، نذكر منهم:

- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عليب الطائي المكنى أبا إسحاق، من أهل قيجاطة، اشتهر بالقراءات والحديث، وتصدر الإقراء في بلده قيجاطة، وكان عارفاً بالعربية، له عدة مؤلفات منها: كتاب الأربعين حديثاً، وكتاب في الأدعية، واختصر تفسير أبي محمد بن عطية، وكانت وفاته سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م^(١).

- أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن خلف بن مسعود المحاربي المكنى أبا جعفر، من أهل غرناطة وسكن قيجاطة وتولى القضاء بها، كان فقيهاً حافظاً، اشتهر بالقراءات والعربية، وتوفي سنة ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣ م^(٢).

(١) الداوودي، طبقات المفسرين، ١٦/١.

(٢) السيوطي، بغية الوعاة، ٢٩٤/١.

- أحمد بن أبي البركات الملقب بالقلطي والمكنى أبا المعالي، شاعر من أهل قيجاطة عاصر دخول النصارى مدينته ووصف تلك المأساة بعدد من الأبيات لما أخنى عليها العدو قال فيها:

أَبَى جُفُونِي بِدَمٍ مَنظَرٌ لَمْ يَكْ أَهْلًا لِخِلَافِ النَّعِيمِ
صَبَحْتُهُ بَعْدَ الرَّزَايَا فَمَا أَجَابَنِي فِي رَيْعِهِ مِنْ حَمِيمِ
فَظَلْتُ أَقْرُو مَوْضِعًا مَوْضِعًا بِمُقْلَةٍ عِبْرِي وَخَدِ لَطِيمِ
وَقَلْتُ يَا مَرِيحَ ابْنِ النَّزِي أَحْبَبْتُهُ فِيكَ وَأَيْنَ النَّدِيمِ
فَقَالَ عَقْدٌ قَدْ غَدَا شَمْلَهُ كَمَثَلِ مَا يُنْتَرِدُّ نَظِيمِ^(١)

- علي بن عمر بن إبراهيم الكناني القيجاطي المكنى أبا الحسن، من أهل قيجاطة اشتهر بعلوم العربية، وله عدة مصنفات منها كتاب نزهة المجالس، تولى الخطابة في غرناطة، وتوفي بها سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م^(٢).

- محمد بن إبراهيم بن عبد الملك الازدي من أهل قيجاطة، يعرف بالفارسي ويكنى أبا عبد الله، اشتهر بعلم القراءات والحديث واللغة والآداب، كانت له رحلة إلى المشرق سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م أدى فريضة الحج خلالها ولقي عدد جم من العلماء هناك حيث زار مصر والشام وفلسطين ثم رجع إلى الأندلس وتصدر للإقراء فيها في وقته وتوفي سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م^(٣).

(١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٦٣/٢ - ٦٤.

(٢) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص ٣٧ - ٣٨؛ الزركلي، الأعلام، ٤/٣١٦.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ١٤٨/٢؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ١٠٥/٤ - ١٠٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠٤/٤٧ - ٢٠٥؛ معرفة القراء الكبار، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

- محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي يعرف بابن خضريال ويكنى
أبا عبد الله، من أهل قيجاطة، اشتهر بعلم القراءات وتولى الإقراء
بقيجاطة كما تولى القضاء بها^(١).

- محمد بن أحمد بن يربوع المكنى أبا عبد الله من أهل جيان سكن
قيجاطة، اشتهر بالقراءات والعربية والآداب وله شعر، كما كان بصيراً
بصنعة الحساب، وكان يتردد للإقراء بين عدد من مدن الأندلس منها
جيان وأبذة، كان حياً سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م^(٢)، ومن شعره وقد كتب
إلى أحد من أهل قيجاطة أن ينزله فأجابه في (كل حجر ضبة)، فكتب
إليه أبو عبد الله:

ياماجداً إن جاد كان وضيعاً أو قال قولاً كان فيه بديعاً
قيجاطة قد ضيقت أبحارها وأرى لكم ما بينهن وقوعاً
وزعمت أن لكل جحر ضبة فاستبدلن مكانه يرثوعاً^(٣)

- محمد بن عبد العزيز بن يبي الرعيني من أهل قيجاطة، اشتهر
بعلم القراءات إذ أخذ العلم عن ابن خضريال السالف الذكر، وكان
فاضلاً صالحاً حسن الصوت يتخيره الأمراء للقراءة، ثم تنقل في أنحاء
الأندلس ينشر علمه فزار بياسة وغرناطة وتوفي بها سنة ٦١٠ هـ
/ ١٢١٣ م^(٤).

(١) ابن الأبار، التكملة، ١٨/٢

(٢) السيوطي، بغية الرعاة، ٤٩/١.

(٣) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٨٣/٤.

(٤) ابن الأبار، التكملة، ١١٣/٢ ؛

- نصر بن عبد الله بن عبد العزيز بن بشير الغافقي الأندلسي سكن قيجاطة، كان عالماً بالقراءات وتصدر الإقراء في قيجاطة وقصد الناس قيجاطة للتعلم منه، وكان من أهل الزهد والورع، وعندما دخل القشتاليون قيجاطة سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م أخذوه أسيراً على كبر سنه في جمع من أهلها، ثم أفرج عنه وسكن لورقة وتوفي بها سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م وقيل سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م وقيل سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م^(١).

(١) ابن الأبار، التكملة، ٢١٣/٢ - ٢١٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٢/٤٦؛ المستلمح من كتاب التكملة، ص ١٨٣.

الخاتمة

تقع مدينة قيجاطة الأندلسية إلى الشرق من كورة جيان وهي من أعمالها، تميزت بوفرة الغابات التي تستخدم أخشابها في الصناعات المنزلية التي تصدر منها إلى أنحاء الأندلس والمغرب، فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م، وسكنتها العديد من القبائل العربية، وكان لأهلها حضور في بعض أحداث الأندلس حتى سقوطها بيد نصارى قشتالة سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م بعد أن حكمها المسلمون أكثر من خمسة قرون.

كما أسهم أهلها في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس في مختلف المجالات، ورفدوا الحركة الفكرية فيها ولاسيما في علوم القرآن والحديث واللغة والأدب فنبغ منهم العديد من العلماء الذين تفخر بمصنفاتهم المكتبة العربية الإسلامية إلى الآن.

مدينة قلهرة Calahorra
الأندلسية

٩٤ - ٤٣٧ هـ / ٧١٢ - ١٠٤٥ م

الجغرافية التاريخية لمدينة قلهرة

Calahorra

تقع مدينة قلهرة شمال شرق الأندلس في منطقة الثغر الأعلى^(١)، ويقابلها بلاد قشتالة Castilla^(٢)، وهي تعد من أعمال مدينة تطيلة Tudela^(٣)، وضبطها ياقوت بقوله: ((قَلْهَرَّةُ: بفتح أوله وثانيه، وضم الهاء، وتشديد الراء وفتحها))^(٤)، وهي مدينة أبيرية قديمة، وكانت تدعى كالاغوريس ناسيكا Calagurris Nassica^(٥).

وقد حددها الإدريسي ضمن الجزء الأول من الإقليم الخامس من الأندلس بقوله: ((وفيه من بلاد هيكل سولى وتطيلة ووشقة))^(٦)

(١) المنجم، آكام المرجان، ص ١٠٨؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبه ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٩٨.

(٢) المنجم، آكام المرجان، ص ١٠٨.

(٣) مدينة أندلسية تقع شمال مدينة سرقسطة وتبعد عنها خمسون ميلاً، وتتصل بأعمال مدينة وشقة، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/ ٧٣٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٣٣.

(٤) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٣.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٣.

(٦) الساعدي، بنوقسي ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص ٢٠.

(٧) مدينة أندلسية بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً، ولها حصون عديدة، =

وجاقة^(١) وقلهرة...^(٢).

فيما وضعها البكري في الجزء الثالث، وهذا الجزء يشمل مدينة سرقسطة Saragosa ووشقة Huesca ولاردة Lerida وطرطوشة Tortosa وتويلة Tudela وأعمال بلاد ابن شانجو كلها وبلد بليارش Pallars وبرشلونة Barcelona وجرندة Gerona ومدينة أبنوريش Apenones ومدينة بنبلونة Pamplona ومدينة أوقة ومدينة قلهرة ومدينة طرسونة Torazona ومدينة أماية Amaya^(٣).

إن موقع المدينة في منطقة الثغر الأعلى جعل بعض الأنهار تمر بأراضيها فهي ضمن منطقة حوض نهر الأبرو Ebro وعدة أنهار أخرى أصغر منه، فبعد دخول نهر الأبرو منطقة الثغر الأعلى عند مدينة قلهرة تصب فيه روافد كثيرة من الجهتين اليمنى واليسرى، فأهم روافد الجهة اليسرى رافد أجيعة Ega التي تقع عند مصبه مدينة قلهرة، ثم يليه الرافد الثاني الذي يتكون من رافد ارغه Arga الذي تقع عليه مدينة بنبلونة عاصمة بلاد نافار Navarra^(٤)، ورافد أراغون Aragon الذي تقع على

=ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٨.

(١) مدينة تقع إلى الشمال من مدينة وشقة، وتبعد عن مدينة سرقسطة مسافة

١٣٣ كم ولها سور وأبراج، ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ١٨٣/٢.

(٢) نزهة المشتاق، ٧٢٥/٢.

(٣) المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ وينظر أيضاً: مؤنس، فجر الأندلس، ص

٥٤٠ - ٥٤١؛ وللمعرفة مواقع هذه المدن ينظر: الحجى، التاريخ الأندلس،

خارطة ص ١٠٤ - ١٠٥؛ وأيضاً الخارطة آخر البحث.

(٤) تقع بلاد نافار في القسم الشمالي الغربي من الثغر الأعلى الأندلسي،

وجنوب شرق خليج بسكاي، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٩٣/٢؛ ابن

الخطيب، الإحاطة، ٤٤/٢.

أحد فروعه مدينة جاقا Jaca، ويصب هذا الرافد في النهر الأم جنوبي مدينة قلهرة^(١).

وأشار الإدريسي إلى مصادر مياه نهر الأبرو وتجمعها وانصبابها ومرورها بمدينة قلهرة بقوله: ((يأتي بعضه من بلاد الروم وبعضه من جهة جبال قلعة أيوب^(٢) وبعضه من نواحي قلهرة فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة إلى أن تنتهي إلى حصن جبرة إلى موقع نهر الزيتون ثم إلى طرطوشة فيجتاز بغربها إلى البحر...))^(٣).

ومن الناحية التمدنية فمن خلال بعض النصوص في المصادر فإن هناك نوعين من النعوت، فبعضهم أسماها مدينة قلهرة^(٤)، والبعض الآخر أطلق عليها حصن قلهرة^(٥)، ومن الناحية التاريخية فإن لذلك ملولات مهمة، فالحصن هو المكان المنيع الذي يصعب الوصول إليه^(٦)، وهو في كثير من الأحيان يكون تابعا للمدينة، وقد تتبع المدينة حصون عدة^(٧).

-
- (١) السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٥٠ - ٥١.
 - (٢) تقع مدينة قلعة أيوب في الثغر الأعلى الأندلسي، وتعد من أعمال سرقسطة، إذ تبعد عنها خمسين ميلا، وهي أيضا على مقربة من مدينة سالم إذ المسافة بينهما خمسون ميلا، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٩٦؛ المقري، نضح الطيب، ١٦٦/١.
 - (٣) نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢؛ ينظر أيضا: المياح، أوربا في كتب البلدانين العرب المسلمين، ١٦٧/١.
 - (٤) ينظر: المنجم، أكام المرجان، ص ١٠٨؛ البكري، المسالك والممالك، ٨٩٢/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٢٥/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٣٣.
 - (٥) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٩٨، ١٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦٤/٢، ١٧٨.
 - (٦) الزبيدي، تاج العروس، ٤٣٣/٣٤ (مادة حصن).
 - (٧) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٦٠١.

التاريخ السياسي لمدينة قلهرة

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة مباشرة عن كيفية فتحها ووقت دخول المسلمين إليها، إلا أن بعض المصادر أشارت إلى فتح مناطق الثغر الأعلى الأندلسي ولاسيما مدينتي سرقسطة وتطيلة والتي تعد قلهرة من توابعها، إذ سار موسى بن نصير نحو الشمال والشمال الشرقي^(١) لهذه المناطق في سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م وفتحها، وقد أشار إلى ذلك مؤلف مجهول بقوله: ((... ثم سار حتى افتتح سرقسطة ومداينها...))^(٢)، في حين أشار ابن عذاري إلى ذلك بقوله: ((ولما التقى موسى بطارق، وجرى له معه ما جرى، تقدم من طليطلة^(٣) إلى سرقسطة، فافتتحها وافتتح ما حولها من الحصون والمعازل...))^(٤).

وتحدث حسين مؤنس عن فتح مدينة قلهرة بقوله: إن الجيوش الإسلامية وصلت في عملية الفتح إلى الركن الشمالي الشرقي من شبه

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٠٤؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٠١.

(٢) أخبار مجموعة، ص ١٨

(٣) مدينة أندلسية قديمة كانت قاعدة ملوك القوط الغربيين وهي حصينة ولها أسوار عدة، وتقع على نهر تاجة، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٩ - ٢٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٣ - ٣٩٥.

(٤) البيان المغرب، ١٦/٢.

الجزيرة الأيبيرية فيما بين الخط الممتد من برشلونة إلى أمية ماراً بمدن لاردة وسرقسطة وتبليسة وقلهرة وما يلي ذلك من منطقة البرتات Pyrenees^(١) وما إلى شأها من أراضي بلاد غالة^(٢).

وكانت مدينة قلهرة في تلك المدة تمثل مركز أسقفية مهمة، فلما افتتحها المسلمون هرب كبار رجال الدين منها إلى بلاد غالة أو إلى جليقية Galicia^(٣) وأقام بعضهم في ابيط Oviedo^(٤).

لم تشر المصادر إلى القبائل العربية والبربرية التي استوطنت مدينة قلهرة، إلا أنها تطرقت إلى القبائل التي سكنت مدينة تبليسة والتي تعد قلهرة من توابعها، ومن هذه القبائل العربية بعض أفراد قبيلة هذيل^(٥) الذين رافقوا موسى بن نصير في فتوحاته في الشمال الشرقي واستقروا في

(١) وهي سلسلة جبال فاصلة بين الجنوب الفرنسي والشمال الإسباني، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٢/٨٩٥؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ١١٧-١١٨.

(٢) فجر الأندلس، ص ٣٠٨.

(٣) تقع جليقية في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة أيبيريا وتحاذي حدودها من جهة الغرب ساحل المحيط الأطلسي وخليج بسكاي من جهة الشمال وتجاورها من جهة الشرق حدود بلاد البشكنس الغربية ومدينة ليون، ومن أشهر مدن هذه المنطقة مدينة شنت ياقب، ولك، وأشتوريس، وإبيط، وأقش، وغيرها، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٦٩.

(٤) مدينة تقع في منطقة جليقية، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٠٥.

(٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٢٠.

(٦) هم بنو هذيل بن خلف بن رزين أمراء السهلة في عهد الطوائف، واستمروا في حكمها حتى انتهى حكمهم على يد المرابطين، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٩٤-١٩٥؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٣.

سرقسطة، ومن ثم في مدينة تطيلة^(١)، وكان من ضمن هؤلاء حسان بن يسار الهذيلي قاضي سرقسطة في أواخر عهد الولاة^(٢)، كما عاشت بعض أفراد عشيرة الصدف وهم فرع من حضر موت في مدينة تطيلة^(٣)، بعد أن عبرت إلى الأندلس بقيادة زعيمها حيوة بن ملامس الحضرمي^(٤) لمناصرة عبد الرحمن الداخل مع جند حمص^(٥).

أما القبائل البربرية فلم توضح المصادر انتشارها في مدينة تطيلة وقلهرة التابعة لها، إلا أنها أشارت إلى انتشار بعض منها في مدينة طرسونة التابعة إلى تطيلة، إذ ذكر ابن حزم أن بعض أفراد بني الفرج من مصمودة عاشوا في طرسونة Tarazona بالقرب من تطيلة^(٦).

والراجح أن انتشار بعض القبائل العربية والبربرية سواء في تطيلة أو طرسونة القرييتين من قلهرة جعل الأخيرة ضمن نفوذ تلك القبائل وساحة للتمدد فيها.

كان لموقع مدينة قلهرة على الحدود مع نافار(نبرة) البشكنسية أثر

(١) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٣٢.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٠١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٩٣؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٢٥٠.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٧٩.

(٤) تمرد هذا القائد على الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٥٦ هـ/٧٧٢ م، فسيطر على إشبيلية وإستجة ومعظم الجهات الغربية من الأندلس، ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠٧- ١٠٨؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٠١؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٩٥.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٥٠؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦٠.

(٦) جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١.

كبير على حياتها السياسية والعسكرية، فقد تحولت منذ الأيام الأولى للفتح الإسلامي إلى منطقة ثغرية ترابط بها قوات من الجانبين وتأثرت بالأوضاع الداخلية وحالة الاستقرار لكليهما، ففي السنوات الأخيرة لعهد الولاة (٩٥-١٣٨ هـ / ٧١٣-٧٥٥ م) شهدت الدولة الإسلامية في الأندلس اضطرابات وحروب أهلية استنفذت الكثير من إمكانياتهم وأضعفت قواتهم وأشغلتهم عما كان يجري على حدودهم الشمالية^(١)، إذ شهدت قيام إمارة نصرانية امتدت من بلاد البشكنس شرقاً إلى شاطئ المحيط الأطلسي غرباً ومن خليج بسكاي شمالاً إلى نهر دويرة جنوباً وانتهزوا فرصة انشغال المسلمين بالإقتتال الداخلي فيما بينهم فاستولوا على العديد من المناطق والضياع المجاورة لهم^(٢).

ولما كانت مدينة قلهرة قبل الفتح الإسلامي تعد واحدة من مقاطعات نافار الجنوبية^(٣) لذا كانت من أولى المناطق التي استهدفتها قواتهم إلا أن المصادر لم توضح كيفية ذلك أو تاريخ مهاجمتها، ويبدو أن ذلك في بداية عهد الإمارة وبعد وفاة الفونسو الأول حاكم جليقية سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م وتولي فرويلا الأول^(٤) الحكم والذي استغل الخلافات

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ٣٦- ٤٩؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٠- ٤٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١٢٢/١- ١٢٩.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢١٣/١- ٢١٤.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٤١.

(٤) حكم منطقة جليقية ونافار بعد وفاة والده سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م واستمر حتى حتى قيام ثورة ضده سنة ١٥٩ هـ / ٧٧٥ م انتهت باغتياله، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٢١٤.

الداخلية التي نشبت بين المسلمين^(١) لتوسيع مناطق نفوذه وإحكام سيطرته على العديد من المناطق الحدودية، إذ تمكن من الاستيلاء على مناطق إسلامية عدة مثل شقوبية Sogovia^(٢) وأبله Avila^(٣) وسمورة Zamora^(٤) وشلمنقة Salamanca^(٥)، ولا نستبعد أن تكون مدينة قلهرة من ضمن المناطق التي تعرضت لغزو الملك النصراني، بدليل أن عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢ هـ/ ٧٥٥-٧٨٨ م) هاجم قواتهم فيها سنة ١٦٤ هـ/ ٧٨٠ م كما سنرى، والراجح أن مهاجمة فرويلا الأول لها كان في سنة ١٤٧ هـ/ ٧٦٤ م، فقد أشار ابن الأثير إلى أن فرويلا (يسميه تدويلية) كان أشجع من أبيه الفونسو (يسميه أذفنش) فلما ملك قوي أمره وعظم سلطانه وأخرج المسلمين من ثغور البلاد^(٦).

- (١) للمزيد من التفاصيل عن هذه الخلافات ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥/٢ وما بعدها؛ النويري، نهاية الأرب، ٦٢/٢٢ وما بعدها.
- (٢) مدينة تقع شمال الأندلس وتبعد عن طليطلة مائة ميل، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٥٠.
- (٣) مدينة أندلسية ذكرها الإدريسي بقوله: هي من مدن بلاد البرتقال، وهي قرى مجتمعة وأهلها يركبون الخيل ولهم نجدة، ينظر: نزهة المشتاق، ٧٣٢/٢ - ٧٣٣.
- (٤) يطلق عليها سمورة أو زمورة وهي مدينة أندلسية تعد دار مملكة الجلائقة، وتقع على ضفة نهر كبير، وبينها وبين البحر ستون ميلا، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٢٤.
- (٥) يطلق عليها شلمنقة أو طلمنكة تقع في الثغر الأعلى الأندلس، وتعد من أعمال مدينة وادي الحجارة وبينهما عشرين ميلا، ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٤٢/٢؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١.
- (٦) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢١٤/١.
- (٧) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٩٣؛ إلا أن ابن الأثير يجعل وفاة الفونسو وتولية ابنه فرويلا سنة ١٤٠ هـ/ ٧٥٧ م، فهو يضطرب في ذلك، والراجح ما ذهب إليه الرواية النصرانية بأن ذلك كان سنة ١٤٧ هـ/ ٧٦٤ م، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢١٥/١.

ومن جانب آخر ربما بقيت هذه المدينة (أي قلهرة) منطقة صراع ونفوذ بين الطرفين الإسلامي والنصراني بحكم موقعها المحاذي لكلا الطرفين، وقد ذهب أحد الباحثين إلى ذلك عندما تحدث عن الفونسو الأول بقوله: وقد أصبحت حدود الأندلس الإسلامية عند وفاة الفونسو الأول في مستهل الإمارة الأندلسية، تمتد من سواحل المحيط الأطلسي مارة بقلمرية Coimbra^(١) وقورية Coria^(٢) وطلبيرة Talavera^(٣) وطليلة Toledo ووادي الحجارة Guadalajara^(٤) وتطيلة، أما حدود الإمارة النصرانية فكانت تضم أستوريس Asturias^(٥) وأجزاء من برغش Burgos^(٦) وليون Leon^(٧) وجليقية، أي أن إمارة جليقية سيطرت على نحو ربع شبه

-
- ١) مدينة أندلسية تقع في غرب الأندلس تبعد عن سنترين ثلاث مراحل، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧١.
 - ٢) وهي من مدن غرب الأندلس، وتعد من أحصن المعاقل ولها سور منيع، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٥.
 - ٣) مدينة أندلسية قديمة تقع على نهر تاجة وهي من أعمال مدينة طليطلة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٥.
 - ٤) مدينة أندلسية، تعرف بمدينة الفرح بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلا، وهي تقع بين الشمال والشرق من قرطبة، ولها أسوار حصينة، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٩١- ٢٩٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٦.
 - ٥) منطقة تقع شمال غربي شبه جزيرة أيبيريا، وفيها جبال وعرة ومناخ قاس، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٩؛ العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص ٣٢.
 - ٦) وهي مدينة كبيرة تعد من بلاد جليقية وتقع بالقرب من ليون وهي حصينة ذات أسواق وكثيرة الكروم، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٨٨.
 - ٧) مدينة تقع شمال الأندلس، قرب منطقة جليقية، والى الشرق منها بلاد نافار، وهي قاعدة قشتالة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٤.

الجزيرة الأيبيرية Iberia، أما المناطق التي كانت بين هذين الخطين المذكورين، فكانت مسرحاً للمنازعات الدائمة بين المسلمين والنصارى الأسبان^(١)، والراجح أن مدينة قلهرة ضمن هذه المناطق.

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الداخل أرسل حملة عسكرية إلى مدينة قلهرة سنة ١٦٤ هـ / ٧٨٠ م، وقد أشار إلى ذلك ابن الأثير بقوله: ((...)) وغزا بلاد الفرنج، فدوخها، ونهب وسبى وبلغ قلهرة، وفتح مدينة فكيرة^(٢)، وهدم قلاع تلك الناحية، وسار إلى بلاد البشكنس...))^(٣)، ويبدو أن حملة عبد الرحمن الداخل هذه عملت على تجميد المنطقة وإبعاد القوات النصرانية عنها، إلا أن الفتح المنظم الثاني لقلهرة كان في عهد الأمير الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢١ م)، فقد أرسل سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م حملة عسكرية بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ابن مغيث^(٤) إلى منطقة الثغر الأعلى الأندلسي حيث أخذت الاستعدادات العسكرية للحملة، وتوجهت بعد ذلك إلى مدينة قلهرة وتمكنت من الاستيلاء عليها^(٥)، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله:

(١) طه، دراسات أندلسية، ص ١٥٩.

(٢) ويطلق عليها أيضاً بقيرة، وهي تقع في منطقة الثغر الأعلى قرب تطيلة ومن أعمالها إذ بينهما أحد عشر فرسخاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٨١.

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٨٤.

(٤) وهو من أكابر الدولة المروانية أيام الأمير الحكم بن هشام وابنه عبد الرحمن الثاني، وكان عبد الكريم بن عبد الواحد بليغاً شاعراً، تولى في طريقه إلى جليقية سنة ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م، ينظر: ابن حيان، المقتبس (للحقة ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ١٠٣ - ١٠٥؛ ابن الأثير، الحلة السيرة،

١٣٥/١ - ١٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢.

((فيها غزا بالصائفة الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى دار الحرب، وهي الغزوة المعروفة بالقلاع، فاحتل قلهرة، وحشد لها، وسرب الخيول إلى أرض الكفرة أقاطع، ودخل إثرها فدوخ بلاد العدو، وقتل جماعة، وأوغل في سرارتهم، حتى انتهى إلى شاطئ البحر...))^(١).

وبعد هذه الحملة عمل الأمير الحكم على توطيد نفوذ المسلمين هناك وتقوية المنطقة عن طريق تحصين مدينة تطيلة وأعمالها لتكون سداً منيعاً لهجماتهم، ففي سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م أمر ببناء مدينة تطيلة وأسكنها أعداداً كبيرة من المسلمين للدفاع عنها ومنع تقدم النصاري إلى المناطق الأندلسية الأخرى^(٢)، وقد أكد ذلك ابن حيان بقوله ((... ضم إليها من كان حوالها من المسلمين بغير عليهم، وكثروا وأضحوا شججاً في حلوق العدو...))^(٣)، وهذا يعني أن الأمير الحكم أعاد توطين المسلمين في تطيلة وأعمالها ولاسيما قلهرة التي تعد النقطة الدفاعية المتقدمة لمدينة تطيلة وشحنها بالمقاتلة وعوائلهم.

كانت سياسة الأمير الحكم بن هشام تقضي الاستعانة بعدد من زعماء الأسر المنتفذة في منطقة النغر الأعلى لإدارتها ثم التعاون معها لمواجهة الهجمات النصرانية، وقد أشار ابن حزم إلى عدد من تلك الأسر سواء من العرب أم البربر أم المولدين^(٤)، والذي يهمننا هنا هم بنو قسي^(٥) الذين كانت

(١) المقتبس (للقبلة ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ١٠٣.

(٢) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٨١.

(٣) المقتبس، (للقبلة ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م) ص ١١٨.

(٤) ينظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩ - ٥٠٠.

(٥) يرجع نسبهم إلى زعيمهم فرتون بن قسي حاكم إقليم شية، إذ اعتنق الإسلام سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م وقصد بلاد الشام لمقابلة الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤ م)، ولم تشر المصادر إلى دورهم ورجالاتهم =

لهم السيادة في تطيلة وتوابعها^(١)، وأصبحت مدينة قلهرة تابعة لنفوذ هذه الأسرة المسلمة ذات الأصل النصراني.

وفي سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م عين الأمير الحكم عمروس بن يوسف^(٢) حاكماً على منطقة الثغر الأعلى فأعاظ ذلك بنو قسي- حكام تطيلة وقلهرة الذين رفضوا الانصياع لذلك، إلا أن عمروس تمكن من الاستيلاء على المنطقة بالقوة، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: ((وقد استغلظ أمره بالثغر، وتفرد بملكه، وكان ينزل قاعدته سرقسطة، ويُنزل ابنه يوسف تطيلة، وابن عمه شمريط وشقة))^(٣)، واستمرت ولاية عمروس بن يوسف للثغر حتى وفاته سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ م^(٤).

إن تقرب عمروس بن يوسف من قبل الأمير الحكم وتوزيع مناطق الثغر على أقاربه أثار حفيظة أسرة بني قسي الذين يعدون أنفسهم أمراء الثغر منذ الفتح الإسلامي، ولعل الأمير الحكم كان ينوي ضرب الأُسُر الكبيرة المتنفذة في الثغر ببعضها من أجل إضعافها فتبقى تابعة له، وفي

= في الأندلس حتى نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، إذ ذكرت أن مطرف بن موسى بن فرتون بن قسي قتله أهل بنبلونة سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م وبعد هذه المدة أصبح لهم دور سياسي وعسكري في الأندلس حتى نهاية حكمهم سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٢٠٥ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢ ؛ ابن حيان، (للحقب ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م) ص ١١٥ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٠٤ .

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩ .

(٢) هو زعيم أسرة بني عمروس في الثغر الأعلى الأندلسي، تولى حكم مدينة طليبة ثم سرقسطة إلى وفاته سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م، وقيل تولى في تطيلة سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م، ينظر: العنزي، ترصيع الأخبار، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) المقتبس (الحقب ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ١١٩ .

(٤) ابن حيان، المقتبس (الحقب ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ١٢٠، ١٣٤ .

ذلك يقول ابن حيان: إن عمرو بن يوسف (تغلب على بلاد بني قسي،
وبني جبل تطيلة... ونحى بنو قسي لما تغلب عمرو بن وضبط ما في يده
من الثغر، فملكه ملكا شديدا، وزم أهله...) (١).

وكان رد فعل بني قسي أن ثاروا على الأمير الحكم وامتدت ثورتهم
إلى باقي مناطق الثغر واستنجدوا بالنصارى إلا أن عمرو بن تمكن بعد
حروب طويلة من هزيمتهم وقتل فرتون بن موسى القسوي (٢)، وبذلك
تفرد بالثغر كله، ولكن يبدو أنه بعد وفاة عمرو بن استعادوا نفوذهم في
الثغر يفهم ذلك من قول العذري: إن موسى بن موسى القسوي كان
على الطاعة حتى أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨ هـ
/ ٨٢١-٨٥٢ م) (٣)، وهكذا استطاع زعيم هذه الأسرة موسى بن موسى
القسوي أن يؤسس حكومة مستقلة في منطقة الثغر الأعلى، وبلغت هذه
الأسرة أعلى مكانة لها في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني إذ كان موسى
يسيطر على الثغر كله (٤).

وبلغت قوة الأخير واتساع سلطانه إلى حد عقد علاقات مع الممالك
النصرانية بحكم قرب مناطق بني قسي من هذه الممالك ومنع توسع
الأخريين على حساب أملاك الأسرة، إذ اتفق الطرفان بإبعاد كل خطر
يهدد مناطقهم (٥)، وعلى إثر هذا النفوذ والقوة لموسى بن موسى أخذ

-
- ١) المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ١١٨.
 - ٢) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢ هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦ م)، ص ١١٩؛ العذري،
ترصيع الإخبار، ص ٢٧؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص
١٣٤ - ١٣٥ إلا أنه جعل ثورة بني قسي على الأمير الحكم سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٢ م.
 - ٣) ترصيع الإخبار، ص ٢٩.
 - ٤) الساعدي، بنو قسي ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص ٥١.
 - ٥) أبو مصطفى، بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس، ص ٥٨.

يطلق على نفسه لقب (ملك أسبانيا الثالث)^(١).

إلا أن موسى بن موسى القسوي ذهب ضحية الصراع الذي زج نفسه فيه بين الدويلات النصرانية، فعند أطراف مدينة قلهرة حدثت معركة شديدة بين قواته وقوات حليفه أمير نافار (البشكنس) Bascons غرسيه ابن ونقه^(٢) (٢٣٧-٢٦٦ هـ / ٨٥١-٨٧٩ م) مقابل قوات ملك ليون أردونيو الأول (٢٣٦-٢٥٢ هـ / ٨٥٠-٨٦٦ م) سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م، إذ هاجم ملك ليون بعض الحصون التابعة لموسى بن موسى ومنها حصن البلدة الواقع على نهر الأبرو القريب من قلهرة، وانتهت المعركة بهزيمة موسى بن موسى وجرحه وقتل عدد كبير من أتباعه المسلمين والبشكنس وعلى رأسهم أمير نافار غرسيه، وتمكنت قوات أردونيو الأول من هدم حصن البلدة وغيره من الحصون التي تحمي أسرة بني قسي وتشكل خطراً عليهم، ثم توفي موسى بن موسى في السنة نفسها متأثراً بجراحه، فكانت وفاته نذيراً بارتباك الأوضاع في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي^(٣).

أصبحت مدينة قلهرة فيما بعد مسرحاً للصراع بين أبناء الأسرة حكام الثغر الأعلى، فبعد أن استطاع لب بن موسى بن موسى بن قسي من أن يسيطر على حصن أرنيط Ornedo^(٤) دخل عليه إخوته ونازعوه عليه

(١) دوزي، المسلمون في الأندلس، ١/١٣٥؛ أرسلان، التحلل السندسية، ٢/١٢٣
(٢) وهو ابن أخي موسى بن موسى، وكان قد تزوج من أوريه بنت موسى المنكور، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/٢٩٤؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٢١٢-٢١١.

(٤) هو أحد مدن شرق الأندلس وتعد من أعمال تطيلة، إذ تبعد عنها ثلاثون ميلاً، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧

وتمكنوا من استدراجه إلى مدينة قلهرة وقبضوا عليه وهددوا زوجته عجب^(١) بقتله إذا لم تتنازل عن الحصن فرفضت أول الأمر، وبعدها أيقنت أنهم عازمون على قتله وافقت على تسليم الحصن، وخرج لب إلى مدينة بقيرة Viguere وبقي فيها حتى وفاته سنة ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م^(٢).

وبعد وفاة لب بن موسى بن موسى تولى الحكم ابنه محمد سنة ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م، وكان على طاعة حكومة قرطبة Cordoba^(٣)، وكانت مدينة قلهرة من مناطق نفوذه، وهذا ما جعل عمّه إسماعيل بن موسى الموالي لملك جليقية الفونسو الثالث (٢٥٢-٢٩٧ هـ/ ٨٦٦-٩٠٩ م) أن يدخل معه في معركة سنة ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣ م، وكان معه أبناء أخيه فرتون، إسماعيل ولب ومحمد وموسى، وانتهت المعركة لصالح محمد، وتمكن من أسر عمّه، أما أبناء عمّه فقد اختلفت المصادر في مصيرهم، فابن حزم يقول: إنهم قتلوا على يد ابن عمّهم محمد ((فولد فرتون بن موسى، إسماعيل، وموسى، ومحمد، ولب، قتلهم غدراً ابن عمهم لحاً محمد بن لب بن موسى بن موسى))^(٤).

(١) تدعى عجب البلاطية لأنها كانت جارية الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني أهداها إلى لب بن موسى بن موسى تميّناً لدوره في صد هجوم النورمان على الأندلس سنة ٢٤٥ هـ/ ٨٥٩ م، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٣؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣١؛ الدرويش، أعلام نساء الأندلس، ص ٢١٤-٢١٥.

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣١-٣٢.

(٣) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣٦؛ رمضان، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٣٢.

(٤) جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢-٥٠٣؛ ولزيد من التفاصيل ينظر: الساعدي، بنو قسي ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس، ص ٨٣ وما بعدها.

أما العذري فقد ذكر أن محمداً أسر اثنين منهم ثم أطلق سراحهم، وقد أشار إلى تلك الأحداث التي وقعت في مدينة قلهرة بقوله: ((ثم خرج إسماعيل بن موسى مع بني عمّه يريدون قتال محمد بن لب، فلما توسطوا قلهرة اجتمعوا به، فهزمهم وأسر إسماعيل بن موسى وبني عمّه، فحبسهم حتى أسلم إليه إسماعيل سر قسطة وتويلة وبلتيرة^(١)، واستفلك له جميع الموضع، وكان أسره لهم يوم الجمعة لعشر خلون من جمادي الأولى سنة سبعين ومائتين، وهم: إسماعيل بن موسى، وإسماعيل ولب ابنا فرتون بن موسى، ثم أطلقهم وأخرج إسماعيل بن موسى إلى حصن منت شون^(٢)، وبقي بها حتى هلك لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين، ودفن داخله،...))^(٣).

استمر محمد بن لب بن موسى يحكم قلهرة وتويلة حتى مقتله سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م^(٤) تولى ولده لب بن محمد بن لب بن موسى بن موسى بن قسي حكم تويلة وقلهرة وتوابعها^(٥)، فقام النصارى بحشد قواتهم لمواجهة المسلمين بعدما سمعوا بمقتل محمد بن لب، وقد تصدى لهم ولده لب، وكانوا بقيادة الفونسو الثالث Alfonso III ملك ليون (٢٥٢-٢٩٧ هـ / ٨٦٦-٩٠٩ م) وضمت قواتهم مقاتلين من جليقية وألبه والقلاع فضلاً عن

(١) مدينة أندلسية من أعمال شنتبرية، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٨٩.

(٢) وهو من حصون منطقة الثغر الأعلى، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٤٢.

(٣) ترصيع الأخبار، ص ٣٤.

(٤) ينظر عن مقتل محمد بن لب: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣٦، ٤٢.

(٥) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣٦-٣٧.

البشكنس، وعند مدينة طرسونة القريبة من تطيلة دارت المواجهة العسكرية بين الجانبين وكشفت عن نصر كبير للمسلمين، بعد أن كبدوا أعداءهم ما يقرب من ستة آلاف قتيل^(١).

كانت ردة فعل الجانب النصراني قوية على تلك الهزيمة، فقد قرروا التحالف فيما بينهم للتخلص من لب بن محمد بن لب بن موسى، وفعلاً تمكنوا من قتله بكمين نصبوه له سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م، وقد أشار العذري إلى ذلك بالقول: ((وتحاشدت نصرانية بنبلونة والسرطانيين للذي دار على غرسيه من لب، فأقبلوا نحوه حتى قربوا من عسكره، فكمنوا الكائن، ثم دفع غرسيه خيله إلى معسكره، فخرج عليهم وهو لا يشعر بالكائن، فلما توسطوا خرجوا عليه فقتل، وقتل من كان معه، وانتهب عسكره، وذلك يوم الأربعاء لاثني عشر- ليلة بقيت من ذي الحجة سنة أربع وتسعين ومائتين))^(٢)، ويبدو أنه على إثر هذه الهزيمة ومقتل لب القسوي تمكنت القوات النصرانية من الحصول على موطية قدم لهم في مدينة قلهرة عن طريق بناء حصن لهم بالقرب منها واتخذوا منه قاعدة لمهاجمة باقي مناطق الثغر الأعلى.

ففي سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م، وفي بداية حكم الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠ هـ / ٩١٢-٩٦١ م) حاول أهالي الثغر استرجاع حصن قلهرة من أيدي النصارى، قال ابن حيان: ((وفيها افتتح أهل الثغر الأعلى حصن قلهرة، وكان بأيدي المشركين، فأخذوا به سجلاً عليهم، وجرى ذلك يوم الأربعاء لثاني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة))^(٣).

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣٧.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٣٧-٣٨.

(٣) المقتبس (للحجبة ٣٠٠-٣٣٠ هـ / ٩١٢-٩٤١ م)، ص ٩٨-٩٩؛ ينظر=

وهكذا انقسمت قلهرة منذ بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إلى قسمين، قلهرة المدينة التي كان فيها المسلمون، وقلهرة الحصن الذي رابط به النصارى، وعبارة: ((فأخذوا به سجلاً عليهم)) تعني اعتراف من المسلمين للجانب النصراني بامتلاك الحصن على أن لا يستخدم منه نقطة لمهاجمة أراضي المسلمين، إلا أن الجانب النصراني لم يلتزم بذلك، وشهدت المنطقة بعدها عمليات عسكرية وكر وفر بين الجانبين، واستمر ذلك الحال حتى سقوط المدينة نهائياً بيد النصارى سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م.

ففي عهد ملك نافار شانجة غرسيه الأول (Sancho Garcia I ٢٩٣-٣١٤ هـ / ٩٠٥-٩٢٦ م) اتخذ من هذا الحصن قاعدة عسكرية يشن منها هجماته على مناطق الثغر الأعلى^(١)، وعلى إثر ذلك جهز الأمير عبد الرحمن الثالث حملة عسكرية كبيرة لردعهم، وتوجهت إلى مدينة تطيلة جنوب قلهرة، وقد التحقت به وفود عدة، مثل أسرة بني تميم^(٢) بقيادة محمد بن عبد الرحمن التجيبي حاكم سرقسطة، والمنذر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي حاكم قلعة أيوب^(٣) وانضمت إليهم أيضاً أسرة بني قسي- بقيادة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب حاكم تطيلة^(٤).

= أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦٤/٢.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٨/٢.

(٢) هم بنو أنرس بن كندة وأهم تجيب بنت ثوبان بن سليم من مذحج فانسبوا إليه، ودخلوا إلى الأندلس مع موسى بن نصير وسكن قسم منهم سرقسطة وقلعة أيوب، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٣٠؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤٢-٤٩.

(٤) العذري، ترصيع الأخبار، ص ٣٩.

وبعد ذلك تحسن موقف الأمير عبد الرحمن الثالث العسكري كثيراً، فبعث مجموعة من المقاتلين بقيادة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب إلى حصن قلهرة، ففضل ملك نافار عدم الدخول في مواجهة مع المسلمين، وقرر الانسحاب، وبذلك تمكن محمد بن عبد الله القسوي من فتح حصن قلهرة سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ثم قدم عليه الأمير عبد الرحمن الثالث وأمر بتدمير جميع مباني الحصن^(١).

وقد علق ابن حيان على هذه الأحداث بقوله: ((...، فقدم الخيل مع محمد بن لب أميرها إلى حصن قلهرة الذي كان اللعين شانجة اتخذه رباطاً على أهلها، فلما أن قصده الخيل أخلاه العليج وزال عنه، وفر منه من كان فيه من الكفار، فضبطه المسلمون وغنموا ما كان فيه بأسره، ونهض الناصر لدين الله على أمة إلى حصن قلهرة، فنزل عليه بمحلته وكسر يومين بفنائها جامعاً لأيدي المسلمين على تحريبه وتدميره، فاجتهدوا في ذلك حتى غفوا عليه، وتركوه كأن لم يغن بالأمس، وانتسفوا ما كان حوالياً))^(٢).

وعلى الرغم من ذلك فقد استمر حصن قلهرة والمناطق المجاورة له تشكل خطراً كبيراً على المناطق الأندلسية لاسيما الثغر الأعلى، إذ كانت منطلقاً لهجمات نصارى نافار باعتبارها شجراً في حدودهم، والراجح أن النصارى تمكنوا من الرجوع إليه وإعادة إعمارهم، وإزاء ذلك جهز الأمير عبد الرحمن الثالث حملة عسكرية بقيادة عبد الحميد بن بسيل^(٣)، وتوجهت إلى

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٨/٢؛ العليايوي، البشكنس، ص ١٤٠.

(٢) المقتبس (للحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ١٦٥.

(٣) هو من بيت بني بسيل الذين توارثوا كثيراً من المناصب العليا في الدولة الأموية في الأندلس، وقد تولى القيادة والخزانة والوزارة للأمير عبد الرحمن الثالث، ينظر: العنزي، ترصيع الأخبار، ٤٣، ٤٥، ٥١، ٦٩.

منطقة الثغر الأعلى الأندلسي، وتوقفوا في مدينة تطيلة استعداداً منها للانطلاق باتجاه مملكة نافار^(١)، واستغرقت الاستعدادات في مدينة تطيلة قرابة شهرين من تاريخ ذي الحجة سنة ٣١١ هـ - محرم ٣١٢ هـ / ٩٢٣ - ٩٢٤ م^(٢)، وقد التحق به هناك رجال أسرة بني تميم، وعدد كبير من المتطوعين لمجاهدة النصارى^(٣)، ثم استعرض الأمير عبد الرحمن قواته في مدينة تطيلة، ووقف على حالها واستعدادها من أجل قتال نصارى نافار ورد اعتداءاتهم المتكررة من حصن قلهرة وما جاورها، وفعلاً كان أول محطاته حصن قلهرة، فتمكن من الاستيلاء عليه سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م وتدمير مبانيه^(٤).

وقد تحدث ابن حيان عن هذه الأحداث بقوله: ((ثم تقدم بعد ذلك إلى الثغر الأعلى بعساكر كعدد الحصى...، ثم ساعد منها إلى مدينة تطيلة، وخرج إليه التجيبون أرباب سرقسطة وغيرهم، وتلقاه عمال الثغر في جنود عظيمة وُعدت كاملة، فدخل بمجموعه بلد المشركين بنبلونة، دمرها الله، يوم السبت لأربع خلون من ربيع الآخر منها، بأنفذ عزم وأوكد حزم وأقوى نية في الانتقام لله تعالى ولدينه من الأرجاس من الكفرة، فاحتل بأول بلدهم من بحصن قلهرة، وكان العليج شانجة أميرهم لعنه الله، قد أخلاه، فأمر بهدمه وأحرق جميع ما فيه...))^(٥).

(١) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ١٨٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٥/٢؛ عنان، تراجم أندلسية، ص ١٧٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٥/٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٦/٢.

(٥) المقتبس (للحقبية ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ١٩٠ - ١٩١.

وبعد تدمير حصن قلهرة انتقل الأمير عبد الرحمن الثالث لعدة مناطق خاضعة لنفوذ ملك نافار شانجة غرسيه الأول ودخل معه في مواجهات عسكرية عدة انتهت بانتصار المسلمين وتكبيدهم خسائر كبيرة^(١).

وعلى الرغم من تمكن قوات الإمارة من تدمير حصن قلهرة إلا أنه فيما يبدو ضخامة الحصن وقوة تحصيناته مكنت بعض القوات النصرانية من التثبيت فيها، وهو ما دفع الأمير عبد الرحمن الثالث في السنة نفسها (أي ٣١٢ هـ/ ٩٢٤ م) إلى معاودة الكرة على الحصن وتدمير ما بقي منه من تحصينات كي لا يمكن أعدائه من الاستفادة منها مستقبلاً، ثم قصد حصن بلتيرة، واهتم به، فجدد دفاعاته لأنه حصن حدودي قريب من قلهرة وتطيلة، ومنه توجه مباشرة إلى المدينة الأخيرة^(٢).

وقد علق ابن حيان على ذلك قائلاً: ((وانتقل الناصر لدين الله إلى حصن قلهرة وهو خالٍ، فأمر بهدمه والتسوية عليه، ثم انتقل إلى حصن بلتيرة، آخر حصون المسلمين الواغل في بلاد الكفرة، فعهد بإدخال الأطعمة عندهم وتفريق الأموال عليهم تقوية لهم على الثبات بالفرج الذي هم فيه، ثم رحل إلى مدينة تطيلة قاصية الثغر الأعلى، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من ربيع الآخر، فكسر بها يوماً))^(٣).

ويبدو أن تدمير القوات الأندلسية لحصن قلهرة لمرات عدة يدل على مدى خطورة هذه القاعدة العسكرية التي أقامها النصارى هناك على

(١) لمزيد من التفاصيل: ينظر: ابن حيان، المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ١٩١ - ١٩٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٦/٢ - ١٨٩؛ العلياوي، البشكنس، ص ١٤٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٩/٢؛ العلياوي، البشكنس، ص ١٥٠.

(٣) المقتبس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ١٩٥.

مناطق المسلمين، ومن جانب آخر للحيلولة دون استخدامها مجدداً ضد أراضي المسلمين.

ثم إن تدمير المسلمين لحصن قلهرة أضعف من قدرات نصارى نافار، باعتبار الحصن الخط الدفاعي الأول لهم، لذلك صار بإمكان المسلمين مهاجمة مناطقهم دون أي عراقيل، وقد استغل الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر هذا الموقف خير استغلال، فبادر إلى مهاجمة عاصمة نافار بنبلونة، وأعد حملة عسكرية لهذا الغرض سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣ م، وتمكنت من الدخول عن طريق القاعدة قلهرة بعد أن اضمحل دورها العسكري، وعند سماع ملكة نافار طوطة^(١) نبأ ذلك جاءت مسرعة لمدينة قلهرة بقواتها لمقابلة الخليفة عبد الرحمن الناصر لعقد الصلح معه، وقدمت له هدية كبيرة، وقد أشار إلى ذلك ابن حيان بقوله: ((...))، فاعتزم على اقتحام دار الحرب بنبلونة، إذ كانت أقرب جهات المشركين ممن كان مضطربة بالثغر الأعلى، فوردت عليه رسل الماكرة طوطة ابنة أشيز، تلوذ بطاعته وتمت بسبب أسلافها بالخلفاء سلفه، تسأله عقد سلمها وصرفه أوجه الخيل عنها، فسامها الناصر لدين الله على ذلك الخروج إلى معسكره، والوطء لبساطه، دلالة على صحة طاعتها، وعقد أمانها على ذلك، فسارعت الخروج نحوه بنفسها في وجوه رجالها وقوامسها وأساقفتها، ووافت إليه مسرعة لمعسكره في محلة قلهرة، ومعها هدية حسنة، وقد أمر الناصر بتعبئة الجيوش لدخولها

(١) طوطة كانت ثمرة زواج الأمير عبد الله بن محمد من الأميرة النافارية ونقة، وبذلك تكون طوطة عمّة الخليفة الناصر، لأنها أخت محمد والد الناصر لأمّه ونقة، ينظر: طه، دراسات أندلسية، ص ١٧٠.

وإقامة الترتيب وإظهار العدة والزينة، فنظر من ذلك إلى ما هالها، وأوصلها إلى نفسه في المضرب، بعد أن احتفل في جلوسه، فدخلت إليه في عدو من قوامسها، وقضت ما عليها من حقه، وخضعت له في سؤالها ومقالها، فأحسن الناصر لدين الله قبولها وكرم منزلتها))^(١).

وعلى إثر ذلك عقدت الملكة طوطة هدنة مع الخليفة عبد الرحمن الناصر، وحصلت منه اعترافاً رسمياً بحكم ابنها غرسيه شانجة الأول Garcia Sanchez I (٣١٤-٣٥٩ هـ / ٩٢٦-٩٩٦ م) ملكاً لنافار^(٢)، وفي مقابل ذلك تقوم الملكة طوطة بالتزام طاعتها للمسلمين، والتبرؤ من سائر ملوك النصارى وعدم التحالف معهم ومساعدتهم ضد المسلمين، وشروط أخرى أشار إليها ابن حيان بقوله: ((وعقد عليها وعلى قواميسها عقداً أعز الله الإسلام به، تضمن تصحيح الطاعة والتبرؤ من سائر ملوك النصرانية، من ولي وصهر وغيرهما، وترك إمدادهم، وكف الأذى عن المسلمين، وفتح طرقهم، ومعاونة قوات الثغر على كل من عند الطاعة، وأن تحلي عن رهائن بني ذي النون^(٣) الغالقين عندها، بما قد عجزوا عن إحضاره، شرطاً عليهم وضعه عنهم، والتسريح لهم، فطاعت بذلك، وكانت عدتهم أربعة أناس...، فتمت هذه المعاهدة واقتضيت يمين العليجة ورجالها على اعتقادها، وأشهد الناصر لدين الله على التزامها بالعسكر، وأسجل لابنها غرسيه بن شانجة البشكنسي على

(١) المقتبس (للحقبية ٣٠٠- ٣٣٠ هـ / ٩١٢- ٩٤١ م)، ص ٣٣٥.

(٢) المقرئ، نفع الطيب، ١/ ٣٦٣- ٣٦٤.

(٣) ترجع أسرة ذي النون إلى إسماعيل بن ذي النون الذي أسس دولة طليطلة سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م واستمرت حتى سقوطها بيد الفونسو السادس سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ١٧٦- ١٨٤.

بنبلونة وأعمالها، وأوسعها الناصر لدين الله وجميع من جاء معها من صلواته وخِلعانه، فأعَمهم جميعهم وسرّ نفوسهم، وانصرفت من يومها، راجعة إلى بلدها، مغتَبطة بصفقتها، فعجلت إطلاق أولاد بني النون إلى آبائهم، واستقامت طاعتها))^(١).

وهكذا شهدت مدينة قلهرة توقيع معاهدة مهمة بين المسلمين ونصارى نافار كان لها أثر كبير على استقرار الأوضاع بين الجانبين طيلة عهد الخليفة الناصر لدين الله، ويبدو أن هذه الحملة شهدت خروج عدد من المطوعة فيها، فقد أشار ابن الفرضي إلى أن المحدث محمد بن زكريا اللخمي^(٢) خرج مع الخليفة الناصر في حملته هذه وتوفي في محلة ودفن فيها^(٣).

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ / ٩٦١-٩٧٦ م) ظهرت مدينة قلهرة مجدداً على مسرح الأحداث، والراجح أن النصارى بعد وفاة الخليفة الناصر عملوا على التخلي عما اتفقوا عليه وأخذوا يستعيدون تحصيناتهم فيها ولاسيما حصن قلهرة، ثم أخذوا يشنون الغارات منها على مناطق الثغر الأعلى الأندلسي، وعلى إثر ذلك عهد الخليفة الحكم المستنصر إلى القائد غالب بن عبد الرحمن^(٤) بتجهيز حملة عسكرية والتوجه إلى مدينة

(١) المقتبس (للحقيبة ٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٤١ م)، ص ٣٣٦.
(٢) هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن زكرياء بن مُحَمَّد بن جعفر بن أبي عبد الأعلى اللخمي ما أهل قرطبة محدث سمع من محمد بن وضاح وقاسم بن أصبغ، رحل إلى المشرق سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م وسمع من عبد الله بن أحمد بن حنبل وآخرون ثم رجع إلى الأندلس وخرج مع الناصر في غزوة قلهرة وتوفي فيها سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٢٥.

(٣) تاريخ علماء الأندلس، ص ٣٢٥.
(٤) هو غالب بن عبد الرحمن الناصري مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر، كان أميراً للبحر في عهد الأخير ثم أصبح من كبار رجالات الدولة في عهد الحكم المستنصر، وتولى حكم منطقة الثغر الأعلى الأندلسي وارتبط =

قلهرة والتي تشكل قواعدهم فيها خطراً كبيراً على المسلمين، وفعلاً تم اقتحام حصنها وأعاد تعمير مدينتها ووضع حامية عسكرية فيها مجهزة بكامل عدتها^(١).

ويبدو أن القوات الإسلامية لم تستمر طويلاً هناك بسبب وعورة المنطقة وبعدها عن العاصمة قرطبة، إذ سرعان ما عادت، وقد استغرقت هذه الحملة صائفتي سبتي (٣٥٢-٣٥٣هـ / ٩٦٣-٩٦٤م)^(٢).

وبعد ذلك تكررت حملات المسلمين لمدينة قلهرة، ففي سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م، توجهت حملة عسكرية بقيادة القائد غالب بن عبد الرحمن وسعيد بن الحكم الجعفري^(٣)، وتمكنوا من السيطرة عليها وإجراء بعض الترميمات فيها، وقد أشار إلى ذلك ابن عذاري بقوله: ((وفي سنة ٣٥٧، في العشر الآخر من رمضان، احتل الوزيران القائدان غالب بن عبد الرحمن وسعيد بن الحكم الجعفري بجيوش الثغر بالصائفة على حصن قلهرة، فأقاما بساحته مدة استظهرا بها على تمكين بنيان الحزام فيه والزيادة في ارتفاع البرج الثامن بذروته فأنتهيا من ذلك إلى الإدارة، وقفلا بالعسكر، وقد وثقا للحصن بالأمنة))^(٤).

=بعلاقات جيدة مع محمد بن أبي عامر بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ولكن ما لبث أن دبّ الخلاف بينهما انتهى بمقتله سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٢٧٨- ٢٧٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ٦١- ٦٧.

(١) ابن خلدون، العبر، ٤/ ١٤٥؛ التواتي، مأساة، ص ٥٧٠- ٥٧١.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢/ ٤٤٥؛ التواتي، مأساة، ص ٥٧١.

(٣) وهو أحد القادة العسكريين في الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر له حضور في غزوات الصوائف فأندالك، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ١/ ٥١٢.

(٤) البيان المغرب، ٢/ ٢٤١.

وفي عهد المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢ هـ / ٩٧٦-١٠٠١ م) تمكن من أن يسيطر نفوذه على معظم مناطق الثغر الأعلى بما فيها حصن قلهرة الذي كانت تتأرجح تبعيته بين المسلمين ونصارى نافار، فقد أشار ابن الخطيب إلى أن ابن أبي عامر تمكن من فتح قلعة قلهرة، إلا أنه لم يحدد تاريخ ذلك^(١).

فقد ولي المنصور بن أبي عامر على سرقسطة وأعمالها بما فيها مدينة قلهرة التابعة لمدينة تطيلة يحيى بن عبد الرحمن التجيبي سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م وظل حاكماً عليها حتى وفاته سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م، ثم تتابع من بعده أولاده على حكم منطقة الثغر الأعلى حتى سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م^(٢)، لينتهي دور حكم بني تجيب في هذه السنة وتبدأ دور أسرة أخرى في حكم منطقة الثغر الأعلى وهي أسرة بني هود^(٣).

وخلال تلك المدة (أي في سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م) سقطت الخلافة الأموية في الأندلس، وتقسمت البلاد إلى دويلات طوائف متناحرة^(٤)، وكان نصيب الثغر الأعلى الأندلسي أن استقل بنو هود في سرقسطة، وبني ذي

-
- (١) أعمال الأعلام، ١٧٨/٢ ؛ ينظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٩٩/٢.
 - (٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٨/٣؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٣٧.
 - (٣) يرجع نسب هذه الأسرة إلى مؤسسها سليمان بن هود الجذامي الذي أسس له دولة في سرقسطة سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م، واستمرت حتى سقوطها بيد المرابطين سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٠/٢ - ١٧٩.
 - (٤) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢٤٦/٢ - ٢٤٧؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٧/٤ - ١٦٨.
 - (٥) ينظر التفاصيل عن سقوط الخلافة الأموية في الأندلس: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ٢ / ٥٨٨ - ٦٢٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٠٩ - ٢١٧.

النون بطليطلة، وكانت قلهرة تابعة إلى حكام سرقسطة من بني هود، وقد دخلت الأستراتان في صراع مرير، ودار هذا الصراع بين سليمان بن محمد بن هود حاكم سرقسطة (٤٣١-٤٣٨ هـ / ١٠٣٩-١٠٤٦ م) والمأمون بن ذي النون حاكم طليطلة (٤٣٥-٤٦٧ هـ / ١٠٤٣-١٠٧٤ م) وكانت مجموعة المدن والحصون الواقعة بين سرقسطة وطليطلة موضع الاحتكاك بين الجانبين، إذ دارت مواجهات عنيفة بين الطرفين، وقد استعان كلا الطرفين بحكام الممالك النصرانية مقابل أن يدفعوا لهم الجزية، فتحالف ابن هود مع ملك قشتالة فرناندو الأول Fernando I (٤٢٦-٤٥٨ هـ / ١٠٣٤-١٠٦٥ م)، وتحالف المأمون بن ذي النون مع ملك نافار Navarra غرسيه (٤٢٦-٤٤٦ هـ / ١٠٣٤-١٠٥٤ م)، واستمر ملكا قشتالة ونافار يعملان على توسيع هذا الخلاف، فيغير الأول على أراضي طليطلة بجانب ابن هود، ويغير الثاني على أراضي سرقسطة لحساب ابن ذي النون، ولم ينتهي هذا الصراع إلا بعد موت ابن هود سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م^(١).

وبالنسبة إلى مدينة قلهرة فإنها لم تستمر طويلاً تحت حكم أسرة بني هود، إذ سرعان ما تمكن المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة بالتعاون مع حليفه ملك نافار غرسيه من انتزاعها من أيدي سليمان بن هود المتحالف مع ملك قشتالة وذلك سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ثم قام المأمون بن ذي النون بتسليمها إلى ملك نافار في السنة أعلاه لقاء مساعدته ضد ابن هود، وبذلك أصبحت مدينة قلهرة وحصنها ضمن أملاك ملك نافار، وقد أشار إلى ذلك ابن الخطيب أثناء تناوله هذه الأحداث بقوله: ((...))

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٦٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٢٨٢؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ٢/ ١٧٨.

استعان ابن هود بالنصارى، وخرج إلى أرض ابن ذنون، واسترجع ما ظهر عليه ابن ذنون من حصونه، وناغاه ابن ذنون، فأخرج للعام بعده النصارى إلى بلد ابن هود، فافتتح قلعة قلهرة التي كانت فتحها ابن أبي عامر، وفازت بها أيدي الروم، وذلك صدر عام ٤٣٧،...))^(١).

وقد أبدى ابن الخطيب أسفه لاستيلاء النصارى على مدينة قلهرة والمدن والقلاع والحصون الأخرى بقوله: ((وفي أثناء هذا الهرج، وهيجان هذه الفتنة وانفراد كل يد بما ملكت، استولى العدو على مدائن جليلة، وقلاع حصينة منيعة، وثغور شريفة، وعمالات نصيبية، وربوع أهلة، وأطراف بعز الإسلام وطئها شاهدة، مثل مدينة قلهرة، وأنتيشة^(٢) Atienza، ومدينة سالم^(٣)، والمدينة البيضاء سرقسطة))^(٤).

(١) أعمال الأعلام، ١٧٨/٢.

(٢) يطلق عليها أنتيسية أو أنتيشة، وهي مدينة أندلسية تقع بالقرب من قلعة أيوب، ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٧٧.

(٣) وهي إحدى مدن الثغر الأعلى الأندلسي بينها وبين مدينة وادي الحجارة خمسين ميلاً، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢؛ ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ٤٦١/٢.

(٤) أعمال الأعلام، ٢٩٣/٢.

الخاتمة

تقع مدينة قلهرة في الثغر الأعلى الأندلسي إلى الشمال من مدينة تطيلة وهي من توابعها، وتمثل الحد الفاصل بينها وبين دولة نافار النصرانية حيث تميزت بصعوبة بيئتها الطبيعية لوقوعها في منطقة جبلية وعرة وهي جبال البرتات فضلاً عن مجاري الأنهار العميقة كونها ضمن حوض نهر الأبرو.

فتحها المسلمون سنة ٩٤هـ / ٧١٢ م من قبل القائد موسى بن نصير، ولكونها منطقة ثغرية فقد حرص الطرفان الإسلامي والنصراني على بناء الحصون القوية المنيعة فيها تحسباً من بعضهما الآخر، وقد خضعت المدينة طيلة مدة الدراسة إلى حكم العديد من الأسر المنتفذة في الثغر الأعلى مثل قسي ثم بني تحيب ثم بني هود، كما شهدت ساحتها العديد من المعارك بين الجانبين الإسلامي والنصراني والتي تعد الأعنف في التاريخ الأندلسي حتى سقوطها نهائياً بيد النصارى سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٦ م.

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر الأوثية

- ١ - ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م) - التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ١٩٩٥م
- ٢ - الحلة السُيَراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ط٢ ، مصر ١٩٨٥ م .
- ٣ - معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ٢٠٠٠ م .
- ٤ - ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) - الأندلس من الكامل في التاريخ ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش ، ط١ ، دمشق ، ٢٠١٥م
- الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) .
- ٥ - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩م .
- الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م) - تهذيب اللغة ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م
- ابن بسام ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
- ٨ - ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م) - الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري ، ط٢ ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) - المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- ابن بلقين ، عبد الله (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) .

- ١٠ - مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان ، تحقيق أ . ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- ابن البيطار ، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)
- ١١ - الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١ م .
- ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)
- ١٢ - رحلة ابن جبير ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
- ١٣ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، ط ٢ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الهند ، ١٩٧٢ م .
- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
- ١٤ - جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط ٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧م
- الحميدي ، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ١٥ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م)
- ١٦ - الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- الحميري ، نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣هـ / ١١٧٨م)
- ١٧ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق حسين عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٩ م .
- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن حوقل الموصلية (ت بعد ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ١٨ - صورة الأرض ، دار صادر ، أوفست ليدن ، بيروت ، ١٩٣٨ م .
- ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)
- ١٩ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م) ، تحقيق محمود علي مكي ، ط ١ ، الرياض ، ٢٠٠٣ م .
- ٢٠ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) تحقيق محمود علي مكي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

- ٢١ - المقتبس (للقبلة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الأفق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م.
- ٢٢ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي وم. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- ٢٣ - المقتبس (للقبلة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م)، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت، ١٩٦٥م.
- ابن الخراط، أبو محمد (ت ٥٨١هـ / ١١٨٥م)
- ٢٤ - اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو مونيلا وخافينتو بوسيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي، مدريد ١٩٩٠م.
- الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث (ت ٣٦١هـ / ٩٧١م)
- ٢٥ - قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ني بنشره السيد عزت عطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م).
- ٢٦ - الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٢٧ - أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٢٨ - الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، عني بتصحيحه السيد البشير الفورتي، ط١، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، بدون تاريخ.
- ٢٩ - ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٣٠ - الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٣م.
- ٣١ - اللوحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهرسه ونشره، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)
- ٣٢ - تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

- ٣٣ - ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار
الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م .
- ٣٤ - الداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) .
طبقات المقشرين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ٣٥ - ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠
هـ / ١٦٩٨م) .
- ٣٥ - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط ١، تونس ١٢٨٦ م .
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
- ٣٦ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م .
- ٣٧ - سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦ م .
- المسلم من كتاب التكملة، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي،
تونس، ٢٠٠٨ م
- ٣٨ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق بشار عواد وآخرون
، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ هـ .
- ٣٩ - الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣هـ / ٩٢٥م) .
- الحاوي في الطب، اعتنى به هيثم خليفة طعيمة، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ٢٠٠٢م .
- ٤٠ - الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) .
- الأندلس من اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخايننتو
بوتيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم
العربي، مدريد، ١٩٨٠م .
- ٤١ - الزبيدي، حمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) .
- تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية،
بيروت .
- ٤٢ - ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) .
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة
فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م .
- ٤٣ - الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢م .
- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٤١هـ / ١١٥٤م)
- ٤٤ - كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة

- الدينية، بورسعيد.
- ٤٥ - السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)
- ٤٥ - سفر السعادة وسفير الافادة ، تحقيق محمد الدالي ، ط ٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥ م.
- ٤٦ - ابن سعيد ، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)
- ٤٦ - اختصار القدرح المعلق في التاريخ المحلي ، تحقيق إبراهيم الابياري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- ٤٧ - المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ج ١ ، ١٩٥٣ م ، ج ٢ ، ١٩٥٥ م .
- ٤٨ - السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي المروزي (ت ٥٦٢ هـ / ١١٩٦ م)
- ٤٨ - الأنساب ، تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، ١٩٦٢ م
- ٤٩ - ابن سناء الملك ، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م)
- ٤٩ - دار الطراز في عمل الموشحات ، ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ٥٠ - ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م)
- ٥٠ - المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠ م .
- ٥١ - المخصص ، تحقيق خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ م
- ٥٢ - السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
- ٥٢ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المطبعة العصرية ، صيدا .
- ٥٣ - لب اللباب في تحرير الأنساب ، دار صادر ، بيروت .
- ٥٤ - تاريخ الخلفاء ، تحقيق إبراهيم صالح ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٨ م .
- ٥٥ - الشرييني ، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م)
- ٥٥ - مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤ م
- ٥٦ - شيخ الربوة ، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م)
- ٥٦ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،

- الطبعة الثانية ١٩٩٨ م .
- ٥٧ - ابن أبي صاحب الصلاة ، عبد الملك (ت حوالي (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٨ م)
 الوارثين ، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٧٩ م .
 - الضبي ، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)
 ٥٨ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،
 ١٩٦٧ م
 - ابن عبد الملك المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك
 (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣ م)
 ٥٩ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الخامس ، تحقيق
 إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ م .
 - ابن عذاري المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ /
 ١٣١٢ م)
 ٦٠ - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة جس كولان
 وإليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥١ م ؛ ج ٢ ، والجزء الخاص
 بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط ١ ، دار الغرب
 الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
 - العذري ، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م)
 ٦١ - نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان
 في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز
 الأهواني ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، د.ت .
 - ابن عسكر ، أبو عبد الله بن عسكر (ت ٦٣٦هـ / ١٢٢٨ م ، وابن خميس ، أبو بكر
 بن خميس (ت ٦٣٩هـ / ١٢٤١ م)
 ٦٢ - أعلام مألقة ، تقديم وتخريج وتعليق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي ،
 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٩ م .
 ٦٣ - مطلع الأنوار ووزة البصائر والأبصار ، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله
 المرابط ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ودار الأمان ، الرباط ، ١٩٩٩ م .
 - العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤ م)
 ٦٤ - التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، عني بنشرة عزة حسن ، ط ٢ ،
 دمشق ، ١٩٩٦ م .
 - ابن غالب ، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥ م)
 ٦٥ - قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد

- الأربعمائة ، تحقيق لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٦٦ - أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) - تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠ م .
- ٦٧ - ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) - تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق روحية عبد الرحمن السويضي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- ٦٨ - ابن الفوطي ، عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣ م) - معجم الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، إيران، ١٤١٦ هـ .
- ٦٩ - الفيروزآبادي ، أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٥ م) - البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، دار سعد للطباعة ، بيروت ، ٢٠٠٠ م .
- ٧٠ - القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، بيروت ، ٢٠٠٥ م .
- ٧١ - القاضي عياض ، عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩ م) - ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، ط ١ ، المغرب ، ١٩٨٣ م .
- ٧٢ - القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) .
- ٧٣ - آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- ٧٤ - القلقشندي ، أحمد بن علي الفزاري (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م) - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ٧٥ - ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) - تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، ١٩٥٧ م .
- ٧٦ - القيسي الدمشقي ، شمس الدين محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت ٨٤٢هـ / ١٤٣٨ م) - توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
- ٧٧ - ابن الكتاني ، محمد بن الحسين المذحجي (ت نحو ٤٢٠هـ / ١٠٣١ م) - التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨١ م .
- ٧٨ - ابن الكردبوس ، أبو مروان عبد الملك التوزري (ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) - تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نسان جديدان ،

- تحقيق أحمد مختار العبادي، مطبعة الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١ م .
مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
- ٧٨ - أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧ م .
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م).
- ٧٩ - تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوياية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧ م، والنسخة الأخرى بتحقيق لويس مولينا، بعنوان ذكر بلاد الأندلس، مدريد، ١٩٨٣ م .
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
٨٠ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م .
- المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠ م)
٨١ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ١٩٩١ م .
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) .
٨٢ - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد العظيم شلبي، القاهرة، ١٩٣٩ م .
٨٣ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م .
- المنجم، إسحاق بن الحسين (ت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
٨٤ - آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ .
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م)
٨٥ - مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د . ت .
النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
٨٦ - تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (أفريقية والمغرب - الأندلس - صقلية وأقريطش ٢٧ - ٧١٩هـ / ٦٤٧ - ١٣١٩م)، من كتاب نهاية الإرب في فتون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

- ٨٧ - الأندلس من معجم البلدان ، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش ،
ط١ ، البصرة ٢٠١٢ م .
- ٨٨ - معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥ م .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ ٨٩٧م أو بعد ٢٩٢هـ /
٩٠٤م)
- ٨٩ - البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
ثانياً : المراجع الحديثة
- أرسلان ، شكيب
- ١ - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ،
مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، د . ت .
- ٢ - الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، المطبعة الرحمانية ،
مصر ، ١٩٣٦ م .
- أشباخ ، يوسف
- ٣ - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله
عنان ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٠ م .
- التواتي ، عبد الكريم
- ٤ - مأساة انهيار الوجود العبي بالأندلس ، ط١ ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٦٧ م .
جابر ، جابر خليفة
- ٥ - بنو مردنيش ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس (٥٢٨ - ٦٣٦هـ
/ ١١٣٤ - ١٢٣٨م) ط١ ، دمشق ٢٠١٧ م .
- الحجبي ، عبد الرحمن علي .
- ٦ - التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ / ٧١٠-
١٤٩١م) ط١ ، بغداد ، ١٩٧٦ م
- الحسيناوي ، محمود عاشور عبيد
- ٧ - قشتالة دراسة في أحوالها الداخلية وعلاقتها بالدويلات النصرانية في
اسبانيا (منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي - ٨٤٤ هـ / ١٤٧٩ م)
أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة
البصرة ، ٢٠١٨ م .
- خطاب ، محمود شيت
- ٨ - قادة فتح الأندلس ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .
- الخلف ، سالم عبد الله
- ٩ - نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ، ط١ ، المدينة المنورة ، ٢٠٠٣ م .

- أبو الخيل ، محمد إبراهيم
- ١٠ - الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ، الرياض ، ١٩٩٥ م .
- الدرويش ، جاسم ياسين
- ١١ - أعلام نساء الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٧ م .
- الدرويش والعلياوي ، جاسم ياسين ، حسين جبار
- ١٢ - برشلونة بين الإسلام والنصرانية ، دار تموز ، دمشق ، ٢٠١٧ م .
- الدرويش والسويلم ، جاسم ياسين ، إبراهيم جدوع
- ١٣ - أبو سعد السمعاني جغرافياً ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، جامعة مؤتة ، الأردن ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني ، ١٩٩٦ م .
- دوزي ، رينهرت
- ١٤ - تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي وجمال الخياط ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ٢٠٠٠ م .
- رمضان ، عبد المحسن طه
- ١٥ - تاريخ المغرب والأندلس حتى سقوط غرناطة ، ط ١ ، دار الفكر ، عمان ، ٢٠١١ م .
- الزركلي ، خير الدين
- ١٦ - الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .
- الساعدي ، نسرین خلف جوي
- ١٧ - بنوقسي ودورهم السياسي والعسكري في الأندلس (٩٤- ٣١٧ هـ/ ٧١٢ - ٩٢٩ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة البصرة ، ٢٠١٧ م .
- سالم ، السيد عبد العزيز
- ١٨ - تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٩٨٦ م .
- السامرائي ، خليل إبراهيم .
- ١٩ - علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالذول الإسلامية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
- السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون .
- ٢٠ - تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨٦ م .
- طه ، عبد الواحد ذنون .
- ٢١ - دراسات أندلسية ، ط ١ ، الموصل ، ١٩٨٦ م .

- ٢٢ - الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢م.
- الطويل، مريم قاس
- ٢٣ - مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر ٤٠٣- ٤٨٣ هـ/ ١٠١٢ - ١٠٩٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م.
- العبادي، أحمد مختار
- ٢٤ - دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، د.ت.
- عباس، إحسان
- ٢٥ - تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤ م
- العبودي، فاطمة علي حسين عجيل
- ٢٦ - الأحوال السياسية والعلمية في مدينة البيرة (٩٢- ٤٠٣ هـ) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٦ م.
- العلياوي، حسين جبار مجيتل
- ٢٧ - البشكنس دراسة تاريخية في أحوالهم العامة في الأندلس حتى سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م، مطبعة أمل الجديدة، دمشق، ٢٠١٧ م.
- ٢٨ - الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين (٩٦ - ٥٤١هـ/ ٧٤١- ١١٤٦م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م.
- عنان، محمد عبد الله
- ٢٩ - تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط ٦، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- ٣٠ - دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ١، ٢، ٥ ط الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج ٣، ٤، ٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- عناني، محمد زكريا
- ٣١ - الموشحات الأندلسية، سلسلة دار المعرفة، الكويت، ١٩٨٠ م.
- المالك، إخلاص جبار كاطع
- ٣٢ - حركة البياسي وآثارها على الأندلس (٦٢٠- ٦٣٦ هـ/ ١٢٢٣- ١٢٣٨ م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢٠ م.
- محمد، علي جمعة

- ٣٣ - المكايل والموازين الشرعية ، القدس للإعلان والنشر ، ط ٢ ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .
- أبو مصطفى ، كمال السيد
- ٣٤ - بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ١٩٩٧ م .
- مؤنس ، حسين .
- ٣٥ - فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٩٢ - ٧١٠ هـ / ٧١٠ - ٧٥٥ م ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- المياح ، عبد الرحمن رشك
- ٣٦ - أوروبا في كتب البلدانين العرب المسلمين دراسة في الأحوال الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، ق ٣ - ٨ هـ / ٩ - ١٤ م ، بغداد ، ٢٠٠٨ م .
- هنتس ، فالتر
- ٣٧ - المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادتها في النظام المتري ، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي ، عمّان ١٩٧٠ م .

-Doval,H

38-Femando III atraves de las cronicas medievales Revista
Argentina , 2003 .

المحتويات

٥	المقدمة
٧	مدينة باغة الأندلسية
٩	الجغرافية التاريخية لمدينة باغة
٢٠	التاريخ السياسي لمدينة باغة
٥٨	الحركة الفكرية في مدينة باغة
٦٥	كورة قبرة الأندلسية
٦٧	الجغرافية التاريخية لكورة قبرة
٨٠	التاريخ الإداري والسياسي لكورة قبرة
١١١	الحركة الفكرية في كورة قبرة
١٢٣	مدينة قيجاطة الأندلسية
١٢٥	الجغرافية التاريخية لمدينة قيجاطة
١٣٠	التاريخ السياسي لمدينة قيجاطة
١٤٣	الحركة الفكرية في مدينة قيجاطة
١٤٩	مدينة قلهرة الأندلسية
١٥١	الجغرافية التاريخية لمدينة قلهرة
١٥٤	التاريخ السياسي لمدينة قلهرة
١٨١	مصادر ومراجع البحث
١٨١	أولاً: المصادر الأولية
١٨٩	ثانياً: المراجع الحديثة